الإعجاز العلمي

في حديث القرأن الكريم عن وحدات الزمن المتناهية الصغر

(تأصيل إكتشاف الفمتوثانية للعالم الدكتور : أحمد زويل من الوجهة الشرعية)

دكتور

صابر السيد محمد علي مشالي

قسم الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإعجازُ العلميُّ

في حَديثِ القُرآنِ الكَريمِ عن وَحْداتِ الزَّمَنِ المُتَناهِيَةِ الصِّغَرِ

(تأصيلُ اكتشافِ الفمتوثانية للعالم الدكتور : أحمد زويل من الوِجْهَةِ الشَّرْعِيَّةِ)

الدكتور

صابر السيد محمد علي مشالي

جامعة الفيوم ، كلية دار العلوم

قسم الشريعـــة الإسلاميـــة

التصدير :

النصوص المُعْجِزَة :

(١)

يقول الله ــ سبحانه وتعالى ــ في سورة الحج :

{ وَيَسْـتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }

(٤٧) الحج .

(٢)

ويقول ــ عز وجل ــ في سورة السجدة :

{ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }

(٥) السجدة .

(٣)

ويقول ــ جلت قدرته ــ في سورة المعارج :

{ تَعْرُجُ المَلآئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }

(٤) المعارج .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النصوص المساندة المفسرة :

(١)

يقول الله ــ سبحانه تعالى ــ : في سورة البقرة :

{ أَوْ كَـالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَـا فَأَمَاتَـهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْـتَ مِائَـةَ عَـامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّـاسِ وَانظُـرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } . (٢٥٩) البقرة

(٢)

يقول الله ــ عز وجل ــ : في سورة الكهف :

{ أَمْ حَسِـبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْـفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً }. الكهف (٩ ــ ١٢)الكهف .

{ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}

(١٩) الكهف .

{ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً . قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِـرْ بِـهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَـداً }. (٢٥ ، ٢٦) الكهف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التوطئة :

الحمـــد لله رب العالميـــن ، والصـــلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ﷺ : سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه والتزم نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين :

أما بعد :

فلقـــد كان عندى – منذ خمس عشرة سنة تقريبا – ولعٌ بإبراز أوجه الإعجاز فى القـــرآن الكريم ؛ خاصة تلك الأوجه العلمية ؛ رغم إيمانى بأن القرآن الكريم كتاب هداية في البدء والنهاية ، لكننا فى عصر العلم ، وسيضيف كثيرا للمسلم – وغيره – أن تضاء مـــثل هذه الجوانب التى سبق القرآنُ الكريمُ العلمَ الحديثَ بالإشارة إلى كشفها . ولقد ظل هذا الولع مذ كنت أتابع الكتابات فى هذه الجوانب حتى كانت دعوة المؤتمر الدولى الثامن للإعجـــاز العلمى فى القرآن والسنة المأمول عقده بإذن الله تعالى بدولة الكويت فى الفترة مـــن ٢٦-٢٩ شـــوال ١٤٢٧هـــ الموافق ١٨-٢١ نوفمبر ٢٠٠٦م للباحثين فى الحقل الشرعى بالكتابة فى هذه الموضوعات ، فصادف هذه الدعوة توفيق من الله عز وجل ؛ إذ تيسَّر الوقت ، وجاءت الفكرة التى أدعو الله سبحانه أن تكون الكتابة فيها نافعة .

وأشير – هنا – إلى ما بين الباحثين من اختلاف فى خصوص جدوى الكتابة فى أوجـــه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فثمة فريق يؤيد هذا الاتجاه ، ويدافـــع عنه ، ويرى فيه إضافة مهة لما بالقرآن من أوجه للإعجاز متعددة ، وقد أصبح هـــذا الفريق ممثلا فى عدة هيئات متخصصة ؛ مثل هيئات ولجان الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية فى الدول الإسلامية مثل مصر والسعودية والمغرب وغيرها. وثمة فريق آخر يرى أن « التأويل العلمى خطير على الدين والعلم معا » و « أننا لنحسن الإحســـان كله إذا رفعنا الدين ونصوصه عن اضطراب العلم وتناقضه ، فأوجه الإعجاز القرآني تبدو فى ألفاظه ومعانيه ونظمه وتراكيبه وغير ذلك من أوجه الإعجاز اللغوى ، وكـــذا فى شريعته التى أخرجت العرب بخاصة والجنس البشرى بعامة من طور الهمجية إلى طور الإنسانية ، وفى دقة خبره وصدق أخباره .... » «فعلى الرغم مما ذكره القرآن الكـــريم مـــن حقـــائق علمية إلا أن هذا لا يقوم دليلا على أن القرآن كتاب علم بل كتاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هداية، فأى محاولة لاستنتاج الحقائق العلمية منه ما هى إلا تعسف وتكلف »[1].

هـذان اتجاهان فى المسألة ، لكن ثمة قاسما مشتركا بينهما ، هو قاسم : الحرص على الدين والغيرة عليه ، فالفريق المؤيد حريص على هذا ، يدفعه حرصُه إلى إبراز كل وجـه للإعجاز فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وإضاءة كل منحى ينحو القرآن والسنة نحوه ، مرتئيا أن هذا يضيف إلى إبراز تلك المعجزة الخالدة . والفريق المعارض حريص علـى الدين كذلك ، ويدفعه حرصُه أيضا إلى الخشية من أن يؤدى هذا بأصحاب الفريق الأول إلى التكلف فى استنتاج حقائق غير مستقرة ، والتعسف فى قول أشياء لم تثبت بعد، وإذا كـان البحث يوافق الفريق الأول اتجاهه فى بيان أوجه الإعجاز المختلفة فى القرآن الكـريم والسنة النبوية حرصا على خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فإن البحث كذلك يوافق الفريق الثاني من أن القرآن الكريم كتاب هداية لا كتاب علم ، وأن غاية هذه الكـتابات ترسيخ الإيمان بكتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ ، وكذلك ينبغي أن تبتعد هذه الكـتابات عن كل تكلف وتعسف ولىٍّ لأعناق النصوص وهو ما لن يخدم الكتاب والسنة أبدا.

ولهـذا فقـد حاولت البعد عن كل تكلف مرفوض أو تعسف ممقوت ، فعرضت للنظريات العلمية الثابتة المستقرة وللنصوص الشرعية ذات الصلة بها ، وشرحت الصلة بين النصوص الشرعية والنظريات العلمية ، وقدمت ما يسند شرحى من أقوال العلماء .

وقد جاء البحث فى تصدير وتوطئة وخمسة فصول وخاتمة ؛ ففى التصدير عرضت للنصـوص الشـرعية المعجـزة والنصـوص المساندة المفسرة لها ، وفى **الفصل الأول** عرضت للحقائق العلمية المرتبطة بالنصوص المعجزة وذلك فى مبحثين ؛ تضمن **المبحث**

---

(١) انظـر : مشكلات فلسفية ، لأستاذى الجليل الدكتور إبراهيم صقر ، طبعة دار الفكر العربي لسنة ١٩٩٧م . وسيشـار إلـى هـذا المرجع حين وروده بعد ذلك هكذا : **مشكلات فلسفية للدكتور إبراهيم صقر.** ص٣٧ وما بعدها . وانظر كذلك : الدين والعلم : دراسة فى الفكر العربي الحديث ، مقالة لأستاذى الجليل الدكتور إبراهيم صقر ، وقد تفضل سيادته على بها مخطوطة ، وسيشار إلـى هذا المرجع حين وروده بعد ذلك هكذا : **الدين والعلم** : دراسة فى الفكر العربي الحديث. ص ١، ٢ . ولقـد استمعت إلى أستاذى الدكتور إبراهيم صقر في حديث طويل فى هذه المسألة ، أفدت منه وجهة النظر المعارضة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول التعريف بنظرية نسبية الزمن وصاحبها إجمالا ، وتضمن **المبحث الثاني** : التعريف باكتشاف وحدة الزمن المتناهية الصغر (الفمتوثانية) وصاحبها إجمالا . وفي **الفصل الثاني** عرضت للنص المعجز الأول بسورة الحج فى الآية السابعة والأربعين ، وذلك فى ثلاثة مباحث ، تضمن **المبحث الأول** التعريف بسورة الحج وأهدافها ومقاصدها إجمالا وتضمن **المبحث الثانى** سبب نزول الآية ومعناها إجمالا وتضمن **المبحث الثالث** آراء العلماء فى المقصود باليوم ومقداره فى الآية الكريمة وذلك فى نقطتين ؛ كانت النقطة الأولى فى آراء العلماء فى المقصود باليوم فى الآية الكريمة وكانت النقطة الثانية فى آراء العلماء فى مقدار اليوم المذكور فى الآية الكريمة ، وفى **الفصل الثالث** عرضت للنص المعجز الثاني بسورة السجدة ، الآية الخامسة ، وذلك فى ثلاثة مباحث ؛ تضمن **المبحث الأول** التعريف بسورة السجدة وأهدافها ومقاصدها إجمالا ، وتضمن **المبحث الثاني** سبب نزول الآية ومعناها إجمالا ، وتضمن **المبحث الثالث** آراء العلماء فى المقصود باليوم ومقداره فى الآية الكريمة ،وفى **الفصل الرابع** عرضت للنص المعجز الثالث بسورة المعارج؛ الآية الرابعة ، وذلك فى ثلاثة مباحث ؛ تضمن **المبحث الأول** التعريف بسورة المعارج وأهدافها ومقاصدها إجمالا ، وتضمن **المبحث الثاني** سبب نزول الآية ومعناها إجمالا ، وتضمن **المبحث الثالث** آراء العلماء فى المقصود باليوم ومقداره فى الآية الكريمة . وفى **الفصل الخامس** عرضت لبيان وجه الإعجاز العلمى فى النصوص المعجزة وذلك فى ثلاثة مباحث تضمن **المبحث الأول** تحديد المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالنصوص المعجزة وذلك فى ثلاث نقاط ؛ كانت النقطة الأولى فى تحديد مفهوم الزمن وكانت النقطة الثانية فى تحديد مفهوم السَّنة ، وكانت النقطة الثالثة فى تحديد مفهوم اليوم ، وتضمن **المبحث الثاني** الإعجاز العلمى فى حديث القرآن الكريم عن نسبية الزمن، وذلك فى نقطتين ؛ كانت النقطة الأولى بعنوان : نصان قرآنيان مفسران للنصوص محل البحث ، وكانت النقطة الثانية بعنوان : بيان وجه الإعجاز فى الآيات الكريمة محل البحث في نسبية الزمن ، وتضمن **المبحث الثالث** بيان وجه الإعجاز العلمى فى حديث الآيات الكريمة عن وحدات الزمن المتناهية الصغر **وفى الخاتمة** عرضت لنتائج البحث التى توصل إليها وذكرت المصادر والمراجع التى أفاد البحث منها.

أسأل الله سبحانه التوفيق فيما فيه خدمة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول : الحقائق العلمية المرتبطة بالنصوص المعجزة :

المبحث الأول : التعريف بنظرية نسبية الزمن وصاحبها إجمالا :

لـــم يكـــن العالَمُ قبل القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري) يعرف إلا أن الزمـــن ظاهـــرة مُطْلَقة ؛ بمعنى أن المدى الزمنيَّ بين أي حدثين يكون ذا قيمة واحدة لكل أنظمة المراقبة ، بقطع النظر عن حركة بعضها إلـــى بعضـــها الآخر ، وهي نظريةٌ ظلت سائدة حتى بدايات القرن العشرين حين عجزت عن تفسير سلوكِ كثـــيرٍ مـــن الظواهـــر العلمـــية ؛ مثل : فهم سلوك الجزيئات في الذرة الواحدة ، وغير ذلك ... حتى قال آينشتاين ([1]) (Albert Einstein)

الصورة رقم (١) العالم / آينشتين

١- ألـــبرت آينشـــتين(Albert Einstein) (١٨٧٩ ــ ١٩٥٥م) أحـــد العلماء البارزين في العالم ؛ الحاصـــلين على جائزة نوبل (١٩٢١ م) ؛ حيث منحته الكلية السويدية الملكية هذه الجائزة الرفيعة نظير بحـــثه المـــتعلق بظاهرة المفعول الكهروضوئي ، وإن كانت أبحاثه الأخرى قد أسهمت ــ من غير شك ــ في استحقاقه لهذه الجائزة ؛ مثل أبحاثه عن النسبية الخاصة والنسبية العامة ونظرية الكم وغير ذلك .
وقـــد وُلد آينشتين في ١٤ مارس ١٨٧٩ في ألمانيا في مدينة " أولم " ثم انتقل إلى زيوريخ بسويسرا حيث حصـــل علـــى دبلومـــة في الفيزياء (١٩٠١م) ، وفي العام ١٩٠٥ وضع آينشتين خلال عمله في مكتب تســـجيل الاختراعات العديد من النظريات التي جعلت من العام (١٩٠٥) عاما ثوريا في تاريخ العالم .
واســـترعت نـــتائج نظرياته اهتمام علماء الفيزياء في جامعات سويسرا مما جعلهم يطالبون بتغيير وظيفته مـــن كاتـــب إلـــى أستاذ في الجامعة وفي عام ١٩٠٩ عين رئيسا للفيزياء النظرية في جامعة زيوريخ ثم انـــتقل إلـــى جامعـــة بـــراغ الألمانـــية في ١٩١٠ ليشغل نفس المنصب ولكنه اضطر لمغادرتها في العام (١٩١٢م) ؛ ليســـافر بعدها إلى الولايات التحدة الأمريكية فيعمل أستاذا للفيزياء النظرية (١٩٣٣م) في برنســـتون حـــتى تقـــاعده سنة (١٩٤٥م) ، وله أبحاث عديدة غير التي أشرنا إليها ؛ منها : أبحاثه على نظـــرية حركة براون وأبحاثه المهتمة بتقدم الفيزياء ؛ حيث توفي (١٩٥٥م) قبل أن يوحد بين النظريتين الكوانتية والجاذبية وهو ما كان يسعى إليه ، وبقيت دراساته أساسا لتطبيقات العلماء وأبحاثهم حتى اليوم.
انظر : http.nobelprize.org

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بنظريـــته فـــي النسبية التي تعتبر الزمان ظاهرة نسبية ، وهي نظرية أحدثت نقلة علمية كبـــيرة حين فسَّرت أمورًا كانت مجهولة أو غامضة ، وقلبت كثيرا من المفاهيم الكلاسيكية التـــي كانت معروفة سابقا ؛ خاصة تلك المتعلقة بالزمن ؛ وذلك حين ألغت مفهوم التطابق بالزمـــن ؛ لأن الزمـــن والفـــراغ غـــير مطلقين ، وتلك هي النظرية الأساس . ففي عام ١٩٠٥ نشـــر آينشتين (Albert Einstein) أربعة أبحاث علمية الأول : في تفسير الظاهرة الكهروضوئية . والبحث الثاني : في الحركة الإبروانية للجزيئات . **والثالث : في طبـــيعة المكـــان والزمان** والرابع : في ديناميكا حركة الأجسام الفردية . وكان البحثان الأخـــيران هما الأساس للنظرية النسبية الخاصة ؛ التي نتج عنها معادلة الطاقة($E = m c$) وبتحويل كتلة متناهية في الصغر أمكن الحصول على طاقة هائلة .

وفـــي عـــام ١٩٢١ حصـــل آينشـــتين علـــى جائـــزة نوبل لاكشتافه قانون الظاهرة الكهروضوئية ، وقد وضع آينشتين (Albert Einstein) الأسس العلمية للعديد من المجـــالات الحديـــثة فـــي الفـــيزياء ؛ مثل : النظرية النسيبة الخاصة . والنظرية النسبية العامة. و ميكانيكا الكم وغيرها .

والذي يهم البحث ــ هنا ــ أن نشير إلي المفهوم الجديد ذاته ؛ وهو المفهوم النسبي للزمـــن ، وهو ما لم يكن معروفا في العالم قبل ذلك ، وهذا هو المفهوم الذي يتبدى الإعجاز العلمـــي للقرآن الكريم فيه ؛ حين نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلي ذلك ــ إشارات واضحة ــ فـــي أكثر من موضع . أما نظريتا النسبية ([1])؛ سواء النسبية الخاصة وهي التي تتحدث عـــن الأجســـام حيـــن تسير في سرعات تقترب من سرعة الضوء ؛ حين جعل من سرعة الضـــوء أساسا لها، أو العامة؛ التي جعل آينشتين (Albert Einstein) من قوة الجاذبية أساســـا لها وربط بين الكتلة والطاقة .....إلى غير ذلك من تفاصيل هذه البحوث التي غيرت كثـــيرا في الجو العلمي للعالم وما زالت ، فالبحث ليس معنيا بهذ ؛ لأن الذي يعني البحث به ويركز عليه فيما يخص القول بنسبية الزمن إنما هو في المفهوم فقط بمعنى أن العالم قد ظل حـــتى قـــبل مئة سنة فقط لا يعرف إلا أن الزمن مطلق ، والمفهوم الجديد للنسبية في الزمن

---

(١) انظر : (١) (pour la science – N ٣٢٦-Decembre ٢٠٠٤) ترجمة : د/ غازي حاتم .
(٢) . http.nobelprize.org

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غـيّر هـذا الفهم ، والقرآن الكريم قد أشار إلى هذا ، وهو ما يعني البحث بإثباته ؛ ولذلك فشرح النسبية نفسها تفصيلا لا يفيد البحث .

الأمـر الآخر الذي تجدر الإشارة إليه هو أن مفهوم نسبية الزمن مفهوم ثابت علمـيا ومستقر منذ القول به حتى الآن ، وما لحق بالنظرية النسبية من تطورات لم يؤثر فـي هذا المفهوم وإنما بُني عليه ، وهو ما يؤكد البحث عليه أيضا هنا ؛ إذ من المعلوم أن نظـريات الفيزياء الجديدة تعتمد أساسا على تطوير النظرية النسبية العامة والنظرية الكمية كذلـك ؛ التي قدمت كثيرا من الحلول في دراسة الضوء وكذلك فسرت كثيرا من الظواهر الطبيعـية ؛ مثل : دراسة بداية الكون ، ورغم ذلك فلقد وجد العلماء في النظرية النسبية ـ بصـفة عامة ـ مآخذ عليها ؛ فالنسبية الخاصة مثلا تحدثت عن أنه لايوجد شيء يمكن أن يكتسـب سـرعة أكبر من سرعة الضوء ، وأن أي جسيم يكتسب طاقة له لاتزيد سرعته عـن سرعة الضوء ، وأن الضوء فقط والأشكال الأخرى من الموجات الكهرومغناطيسية هـي فقط التي تستطيع أن تسير بهذه السرعة ؛ ورغم هذا كله فلقد ظهرت نظريات تقول بإمكانـية انـتقال الجزيئات بسرعة أكبر من سرعة الضوء ؛ مثل : نظرية النفق ولكن لم يغـير مـن المفهـوم الأسـاس وهو القول بنسبية الزمن ؛ وهو ما يؤكد البحث عليه مرة أخرى.

والأمـر الثالـث ـ هنا ـ هو الإشارة إلى أن الحديث عن النسبية وعرض حديث القـرآن الكريم عنها إنما يمثل الشق الأصغر في البحث أو المقدمة الضرورية للوصول إلـى اكتشـاف الوحدات الزمنية المتناهية الصغر وحديث القرآن الكريم عنها ؛ وهو ما يعنى البحث ببيانه تفصيلا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة رقم (٢) أ.د/ أحمد زويل

المبحث الثاني : التعريف باكتشاف وحدة الزمن المتناهية الصغر (الفمتو ثانية) وصاحبها إجمالا :

لقد انطلق العلماءُ بناءً على النظريات السابقة ــ خاصة ما يتعلق بالزمن ؛ مثل : نظريتي النسبية ــ في سلسلة طويلة متصلة (٩٠ عامًا تقريبا) من التجارب أثمرت عن العديد من الاكتشافات ؛ من أهمها : ما اكتشفه العالم المسلم الكبير الأستاذ الدكتور / أحمد زويل (١) (prof.dr:Ahamed H. Zewail) .

---

(١) العالم المسلم الكبير ؛الدكتور / أحمد زويل (prof.dr:Ahamed H. Zewail) (١٩٤٦م ــ .....) أحد العلماء البارزين في العالم ؛ الحاصلين على جائزة نوبل (١٩٩٩ م) ؛ حيث منحته الكلية السويدية الملكية هذه الجائزة الرفيعة نظير أبحاثه في حالات الانتقال في التفاعلات الكيميائية بالمنظار الطيفي معتمدًا على وحدة الزمن المتناهية الصغر : الفمتو ثانية (Femto-Second) .

وقد وُلد الدكتور / أحمد زويل في مدينة (دمنهور) بجمهورية مصر العربية في السادس والعشرين من فبراير عام١٩٤٦ م , وبدأ تعليمه الأولي بمدينة دمنهور ثم انتقل مع الأسرة الي مدينة دسوق مقر عمل والده حيث أكمل تعليمه حتي المرحلة الثانوية ثم التحق بكلية العلوم جامعة الاسكندرية عام١٩٦٣ وحصل علي بكالوريوس العلوم قسم الكيمياء عام١٩٦٧ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ، ثم حصل بعد ذلك علي شهادة الماجستير من جامعة الإسكندرية .

وبدأ الدكتور / أحمد زويل مستقبله العملي كمتدرب في شركة "شل" في مدينة الإسكندرية عام ١٩٦٦ واستكمل دراساته العليا بعد ذلك في الولايات المتحدة حيث حصل علي شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٤ من جامعة بنسلفانيا وبعد شهادة الدكتوراه انتقل الي جامعة بيركلي بولاية كاليفورنيا وانضم لفريق الأبحاث هناك .وفي عام. ١٩٧٦ عين في كلية كالتك مساعد أستاذ للفيزياء الكيميائية وكان في ذلك الوقت في سن الثلاثين وفي عام ١٩٨٢ نجح في تولي منصب أستاذ للكيمياء وفي عام ١٩٩٠ تم تكريمه بالحصول علي منصب الأستاذ الأول للكيمياء .في معهد لينوس بولينج وفي سن الثانية والخمسين فاز الدكتور أحمد زويل بجائزة بنيامين فرانكلين بعد اكتشافه العلمي المذهل المعروف باسم **" ثانية الفمتو "أو "Femto-Second" وهي أصغر وحدة زمنية في الثانية ،** وفي عام ١٩٩٩ م تم ترشيحه لجائزة نوبل في الكيمياء وبذلك يكون أول عالم عربي مسلم يفوز بتلك الجائزة في الكيمياء . ويشغل الدكتور أحمد زويل عدة مناصب وهي الأستاذ الاول للكيمياء في معهد لينوس بولينج وأستاذا للفيزياء في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ومدير معمل العلوم الذرية وأبحاث الدكتور زويل حاليا تهدف الي تطوير استخدامات أشعة الليزر للاستفادة منها في علم الكيمياء والأحياء، أما في مجال الفمتو الذي تم تطويره مع فريق العمل بجامعة (كالتك) فإن هدفهم الرئيسي حاليا هو استخدام تكنولوجيا الفمتو في تصوير .العمليات الكيميائية وفي المجالات المتعلقة بها في الفيزياء والأحياء .

انظر : http.nobelprize.org .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهـو : اكتشافُ هذه الوحدةِ الزمنيةِ المتناهيةِ الصغر (١٩٩٥م) وهي : الفمتوثانية والفمتو : لفظة إسكندنافية (دانماركية) تعني الرقم (١٥) ؛ لأن الفمتوثانية = $(١٠)^{-١٥}$ من الثانية والنسبة بين الفمتوثانية إلى الثانية هي النسبة بين الثانية و(٣٢) مليون سنة.

المقطع	الرمز	الجزء
ديسي deci	d	$١٠^{-١}$
سنتي centi	c	$١٠^{-٢}$
مللي milli	m	$١٠^{-٣}$
ميكرو micro	μ	$١٠^{-٦}$
نانو nano	n	$١٠^{-٩}$
بيكو pico	p	$١٠^{-١٢}$
فمتو femto	f	$١٠^{-١٥}$

لقد كان صعبًا جدًّا على الباحثين فهمُ الظواهر العلمية المصاحبة للحالة الانتقالية التي تمر بها الجزيئاتُ عند حدوث التفاعلات الكيمائية ؛ لأن الانتقال من مرحلة لأخرى في هذه الجزيئات يتم بسرعة كبيرة لا يستطيع المقياسُ الزمنيُّ المعتادُ قياسَها وذلك ما دفع العلماء إلى البحث عن مقياسٍ زمنيٍّ جديدٍ

الجدول الإيضاحي رقم (١) ويبين قيم أصغر سبع وحدات زمنية متناهية الصغر

بوحدات زمنية أقل تسمح برؤية هذه التفاعلات الداخلية بين الجزيئات وفهم ما يدور خلال تلك المرحلة الانتقالية من حالة لأخرى؛ بالنسبة للثانية ولذلك استخدم الدكتور / زويل كاميرا فائقة السرعة؛ بشكل يُمكِّنه من تصوير الجزيئات في مسارها الفعلي أثناء التفاعلات الكيميائية ، والتقاط صور متعددة تفسر ما يحدث ، وهي كاميرا تعتمد على تكنولوجيا الليزر الجديدة ؛ إذ تبعث ومضات من الضوء خلال عشرات الفمتوثانية (وحدة الزمن الجديدة) والوقت ــ مثلا ــ الذي تستغرقه ذرات الجزئ لعمل اهتزازة واحدة قدره من (١٠) إلى (١٠٠) فمتوثانية ، ثم يُستعمل معه منظارُ التحليل الطيفي بحيث تخلط المواد كشعاع من الجزئيات في غرفة مفرغة ، وبواسطة الليزر عالي السرعة يتم حقن نبضتين : **الأولى** : تضخ بقوة عالية جدًّا وتصطدم بالجزئ فتثيره إلى مستوى طاقة أعلى. **والثانية** : تمثل نبضة مجسٌ في موجة ذات طول موجي محدد يتم اختياره لتحري مسار الجزئ الأصلي أو الشكل المعدل به .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالنبضـــة الأولى هي إشارة بدء التفاعل ، ونبضة المجس هي اختبار لما يحدث ، فإذا تكررت هذه العملية مع تغيير الفترات الزمنية بين النبضتين : أمكن رؤية الجزئ الأصلي أثناء عملية انتقاله وتحوله من حالة إلى حالة أخرى ؛ فكيف حدث ذلك تفصيلا (١) :

لقـد اقتفى الدكتور زويل أثر العلماء السابقين عليه ؛ مثل : رونالد رونيش وجورج بورتـر (نوبل ١٩٦٧م) وقد اسخدما ضوءا ومضيا لتجميد التفاعلات ومراقبة المركبات الانتقالـية التـي يكون عمرها في حدود (١٠) -٣ ــ (١٠) -٦ ، وقد طور هيرشباخ ويـوان لـي وجـون بولاني (نوبل ١٩٦٨م) بعد ذلك تقنية الحزمة الجزيئية المتصالبة لدراسـة الحـالات الانتقالية (transient states) ووصل الفصل الزمني إلى الـ : بـيكو ثانـية = (١٠) -١٢، واسـتطاع الدكتور / زويل أن يخفض من هذا الزمن ليكتشـف وحدة زمنية متناهية الصغر ؛ أقل من البيكو ثانية؛ هي : الفمتو ثانية "Femto-Second" ؛ بشـكل يسـمح للعلماء متابعة اهتزازات كل رابطة (والتي تستمر لفترة من ١٠ ــ ١٠٠ فمتو ثانية) لتفاعل ينتهي خلال (٢٠٠) فمتو ثانية .

وبشـكل مباشـر : فلقـد صـاغ أرينوس علاقته حول اعتماد سرعة التفاعل على درجة الحرارة منذ عام ١٨٨٩م على الشكل التالي :

$$K = Ae - Ea \setminus Rt$$

حيـث k ثابـت سـرعة التفاعل ، و A عامل أرينوس ، و T درجة الحرارة ، و E a طاقـة التنشـيط . وقـد رأى أريـنوس في طاقة التنشيط الحاجز الذي يجب التغلب عليه للوصـول إلـى حالة مفترضة سماها بـ : " المعقد المنشط Activated Complex " وفـي الثلاثينـيات مـن القرن العشرين صاغ هنري إيرنغ ومايكل بولاني نظرية الحالة الانتقالـية التي افترضت أنه يتم المرور بحالة انتقالية أو بـ : " معقد نشط " بسرعة كبيرة جدا تكون بمستوى زمني يعادل اهتزازات الجزيئ .

---

(١) انظر :

١- (hemistry in britian) ، بحـث مـنقول عـنها بـترجمة د / سعد الدين خرفان ، بمجلة التقدم العلمي ، العدد الرابع والثلاثون ، أبريل / يونيو ٢٠٠١م ، صص (٩٠ ــ ٩٥) .

(٢) http.nobelprize.org \ Chemistry \ laureates \ ١٩٩٩ \ Illpres

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد بدا في ذلك الوقت ــ ولفترة طويلة فيما بعد ــ أنه من غير الممكن توقع إمكانية تتبع التفاعلات المختلفة في عينة ما حيث تهتز الجزيئات كلها في الوقت ذاته.

لقد كان ما فعله الدكتور / زويل هو جعل الجزيئات تهتز في تناغم واحد ؛ وهو ما يعرف بـ : الإعداد المتجانس coherent preparation " للعينة ، ويتم هذا بقذف العينة ــ التي هي في الواقع حزمة جزيئية ــ بنبضة قوية من أشعة الليزر تدوم لبضع وحدات من الفمتو ثانية فقط ، وترفع هذه " النبضة المقذوفة " كل الجزيئات في الجزء المستهدف من الحزمة الجزيئية إلى الحالة الأعلى من الطاقة في الوقت ذاته ، وفي الحقيقة فإنها تعتبر كقذيفة الانطلاق التي تحفز كل الجزيئات على البدء بالاهتزاز في الوقت ذاته ، وبذلك يحصل المجرب على عينة من الجزيئات بحيث تكون كلها في الحالة ذاتها تماما .

إن التوقيت المستخدم هنا هو وحدة متناهية الصغر من الثانية ؛ ذلك أنه لرؤية ما حدث للرابطة فإن المجرب يحتاج إلى إطلاق نبضة (هي نبضة اختبارية) ثانية ؛ تكون أضعف من النبضة الأولى ، وعند طول موجة محدد على الجزئيات ليكتشف الجزيئ الأصلي أو حالته المتبدلة ، وبأخذ سلسلة من الطيوف عند فواصل زمنية متزايدة بين النبضات يمكن تتبع سير التتابع بكامله عبر سلسلة من اللقطات القصيرة المؤقتة أو الأطر المجمدة بينما يظهر طيف الأصناف الجزيئية المختلفة ويختفي . **ولقد شبَّه الدكتور زويل في مقال له منذ سنوات** عدة الناتج بسلسلة إدوارد الشهيرة لصور فوتوغراقية سريعة جدا أخذت لإظهار فيما إذا كان الحصان يرفع قوائمه الأربعة فوق الأرض في الوقت ذاته وهو يعدو .إن طريقة الدكتور/ زويل في التحكم الدقيق بالفترة الزمنية بين النبضات بسيط من حيث المبدأ ، وفي الواقع فإن كلا الضوئين سيأتي من النبضة ذاتها ، ولكن بعض الضوء يشطر ويرسل حول تحويلة مؤلفة من مجموعة من المرايا ؛ وبما أن سرعة الضوء معروفة بشكل جيد فيمكن اختيار طول التحويلة لتحديد الزمن الفاصل بين النبضات ؛ وعلى سبيل المثال : فإن تحويلة بطول ٠,٠٣ مم تعطي زمنيا قدره (١٠٠) فمتو ثانية بين النبضات .

هكذا بدأ الدكتور / زويل تجاربه الأولى باستخدام هذه التقنية سنة ١٩٨٥م ؛ وقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

درس تفكك جزيء من سيانيد اليود إلى ذرة يود وجذر سيانيد وفق التفاعل التالي :

$$Icn \text{ ----------} \rightarrow I + CN$$

وقـد اكتشـف فريقه مؤخرا رائحة جزيء السيانيد ، وأدركوا أن الحالة الانتقالية لابـد مـن أن تأتي مباشرة بعد فصل جهازهم الأول ، وباستخدام جهاز جديد (وضع في مختـبر لينوس باولنج للأشعة في كالتك) استطاعوا أن يلاحظوا حالة انتقالية تتزامن مع عملية تكسير الرابطة C I وينتهي كامل التفاعل خلال ٢٠٠ فمتو ثانية ، ثم تابع الفريق عمله بدراسة تفاعل تفكك يود الصوديوم :

$$NA - r \text{ ----------} \rightarrow Na + I$$

إن لزوج الأيونات $Na + I^-$ بعدًا توازنيًّا بين القوي بمقدار ٢,٨ A وعندما تقوم النبضـة المحفزة برفع الزوج الأيوني إلى حالة مستثارة (NA - r) فإن الرابطة تصبح ذات طبـيعة مشاركة عند هذه المسافة القصيرة الفاصلة ، ومع ذلك فعندما تهتز الجزيئات تـتحرك الإلكـترونات المشاركة من NA إلى r - وعندما تبعد النوي بمسافة ١٠-١٥ A٠ فـإن الـرابطة ذات طبـيعة تشردية صرفة (NA -..... r) ، وتستمر بالاهتزاز بين الأشكال المشاركة والمشردة .

Fig 1. Coherent vibrations in femtosecond-excited NaI

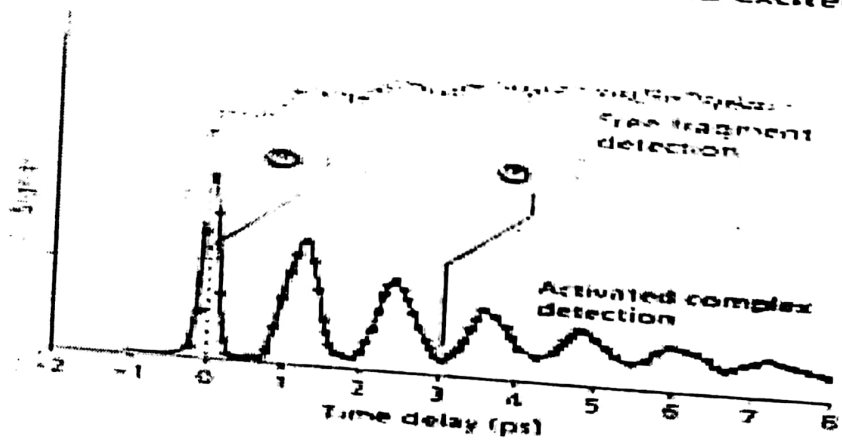

الرسم رقم (١) يوضح مسار الاهتزازات أو النبضات الحادثة في الفمتو ثانية

إن النقطة الحرجة في هذا التفاعل عندما تكون المسافة بين الذرات ٦,٩ A٠

وعـند هـذه المسـافة تكون الطاقة للحالة المستثارة والحالة الأصلية قريبتين من بعضهما البـعض ، وهناك احتمال ٠,٢ بأن تتفكك الحالة المستثارة؛ لتعطي ذرات Na ، I. ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وباستخدام تقنية الفمتو ثانية يلاحظ إشارة تتخافت من الجزئيات المنشطة المهتزة وإشارة تتضخم لتفكك ذرات NaI- (الرسم رقم ١) ، وبما أن العينة تحضر بحيث تكون متجانسة فإن كل الاهتزازات وانطلاق الذرات الحرة في العينة يتم في الوقت ذاته فيما يمكن أن يُسمى برقصة الخطوتين ؛ فلقد تابع الدكتور / زويل وفريقه دراسة التفاعلات الحيوية مثل التفاعل :

$$H + CO_2 \dashrightarrow CO + OH$$

فقد أظهر أن هذا التفاعل يسير عبر مركب انتقالي هو HOCO يعمر طويلا إلى حد ما (١٠٠٠) فمتو ثانية . كما تابع الدكتور / زويل أيضا مع فريقه تفاعلات الروابط المضاعفة ؛ فإذا كانت هناك رابطتان متساويتان في جزيء فقد تتكسران في الوقت ذاته (وهو تفاعل من خطوة واحدة) أو بالتتابع (وهو تفاعل من خطوتين) ، ويمكن لمطيافية الفمتو ثانية أن تميز بين هاتين العمليتين ؛ على سبيل المثال فإن الرابطتين I - C في التفاعل (١) واللتين تبدوان متساويتين تتكسران في الواقع واحدة تلو الأخرى ؛ حيث تستغرق الأولى ٢٠٠ فمتو ثانية وتستغرق الثانية قدر ١٠٠ مرة من هذا الزمن .

إن تفاصيل هذا الكشف الرائع كثيرة فقد تطورت بسرعة خلال السنوات القليلة الماضية ، وظهر أن الكشف عن هذه الوحدة الزمنية المتناهية الصغر : الفمتو ثانية سيفيد العالم كله في مجالات كثيرة مثل الصناعة والطب والزراعة وغير ذلك .

لقد أجابني العالم الكبير الدكتور / أحمد زويل (مع جمهور كبير بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في شتاء العام ٢٠٠٠ م) عن سؤال يُبسِّط هذه النظرية ؛ فقال : " إنه إذا كان هناك ــ مثلا ــ مكوك فضائي سيتوجه إلى القمر وسينطلق في وقت محدد وسيستغرق انطلاقه هذا زمنا قدره (١٠) دقائق ؛ فإذا كنت هناك وقت وقوع ذلك الحدث أمكنك تصويره بدقة طوال هذه المدة الزمنية (الدقائق العشر) . وبالمثل : إذا كان هناك تفاعل بين جزيئات المادة سيستغرق (١٠٠) فمتو ثانية ، وكان هناك جهاز يستطيع تصوير هذه الفترة الزمنية البسيطة التي قدرها : فمتو ثانية ، فإن الفترة الزمنية التي قدرها (١٠٠) فمتو ثانية تعتبر فترة طويلة ؛ حيث تمكن الجهاز من تصوير صور عديدة دقيقة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

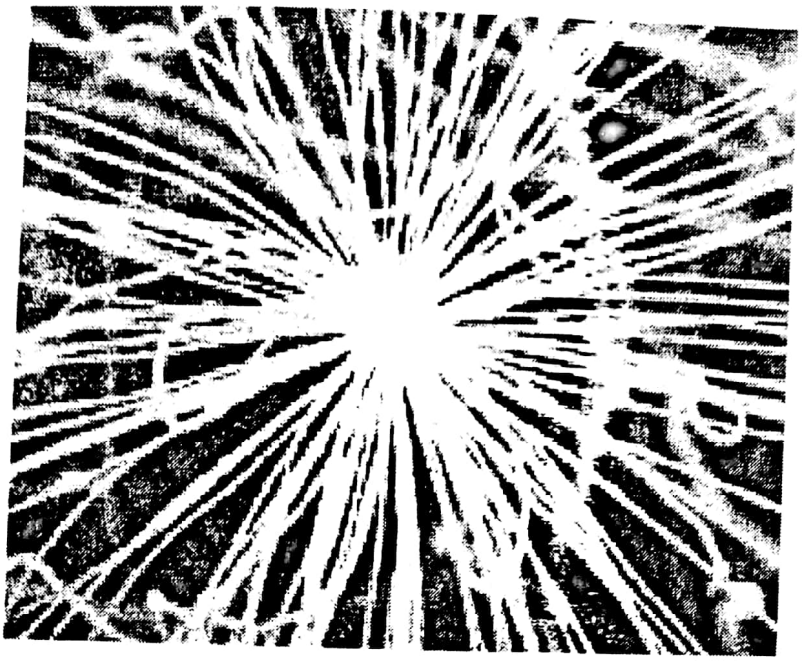

الرسم رقم (٢) يوضح صورا عديدة بداخل الكاميرا مأخوذة بالطريقة المشروحة

(مع ملاحظة أن العملية الواحدة (أو المنظر الواحد) من هذه العمليات تمثل صورة مستقلة بذاتها وهذه الصورة هي التي سيقابلها المنظر الواحد أو الصورة الواحدة من الوحدة المتناهية الصغر التي تحدَّث عنها القرآنُ الكريمُ حين جعل اليوم الواحد (عند ربنا سبحانه) بألف سنة من عدِّنا أو بخمسين ألف سنة كما سنبين في وجه الإعجاز في النصوص القرآنية ؛ إذ إن اليوم الواحد في مواجهة الألف (أو الخمسين ألف) سنة يقتضي وجود النسبية في الزمن كما يقتضي وجود الوحدات المتناهية الصغر التي تقابل الفمتوثانية أو ما هو أقل منها إن وُجِد ، والإعجاز أن يحدث الأمر الجليل العسير في الزمن القليل اليسير وهو ما يتوافق مع خطاب القادر ــ عز وجل ــ لأن التساوي بين المدتين (اليوم مع الألف أو الخمسين ألف سنة) لا يلفت النظر العادي ، فكيف بخطاب من الله ــ جلت قدرته ــ في مشهد تحقيق الوعد (آية الحج) أو مشهد بيان عروج الأمر إليه (آية السجدة) أو مشهد عروج الملائكة أو الروح إليه (آية السجدة) يقتضي بيان قدرة القادر وهيمنة المهيمن ؟ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد فتح هذا الكشف (١) الفريد باباً واسعاً لحل مشكلات كثيرة في الكيمياء والطب(٢) والزراعة والصناعة وغير ذلك ، والعلم كلٌ مترابطٌ ، ولربما يتوصل العلماء إلى ما هو أصغر من الفمتوثانية (توجد وحدة قياس أصغر من الفمتوثانية تسمى : أتوثانية (Atto seconds) ، والأتوثانية = (١٠)$^{-١٨}$ من الثانية ، والأتو لفظة إسكندنافية أيضا وتعني الرقم : ١٨) ، لكن الفمتوثانية هي آخر ما استطاع العلماء التعامل معه باعتباره وحدة زمنية متناهية الصغر ، وهو ما أعلنه الدكتور زويل عام ١٩٩٥م .

---

(١) نقل إليَّ د/ سامح محيي الدين (حاصل على دراسات عليا في علوم الليزر من جامعة القاهرة) ـ وكنت حريصا على مراجعة الجزء العلمي في البحث من قِبل متخصصين قدر الإمكان ـ : بأننا يمكن أن نقول إن دراسات الدكتور زويل وأبحاثه اعتمدت على دراسة الجزيئات وحركاتها وتطبيق أبحاث النظرية النسبية والضوء وحركة الذرات والجزيئات ؛ ونظرا لاعتماده على الليزر وهو عبارة عن ضوء بدأت أبحاثه في تصوير حركة الذرات والجزيئات ، وكان الأمر يحتاج إلى آلية خاصة لإمكانية تصوير حركة الذرات والجزيئات والإلكترونات أثناء التفاعلات الكيميائية .

وكانت طريقة الدكتور / زويل استخدام أسرع كاميرا في العالم ؛ حيث إن سرعة حاجب الكاميرا (Shutter) في هذه الكاميرا سريع جدا ؛ حيث إن هذه الجزيئات متناهية في الصغر ، وتتحرك بسرعات كبيرة جدا ؛ وللحصول على صورة دقيقة للجزيئات أثناء التفاعل الكيميائي فإنه يحتاج حاجب كاميرا بسرعة الفمتو ثانية

(٢) على سبيل المثال : نجح فريق من العلماء الألمان في إجراء فتح جراحي دقيق في أنسجة حية ، ولم يتجاوز الجرح (٧٠) نانو ميتر ؛ أي ما يعادل واحدا على ألف مليون من المتر ؛ مما يعني أن بوسعهم إجراء جراحات داخل الخلايا الحية دون قتلها ، وقال معهد فراونهوفر للهندسة الطبية في سان إنجبرت بألمانيا : إن هذا الإنجاز يفتح آفاقا جديدة بما في ذلك نقل الجينات عبر الضوء ، وذلك عن طريق حقن المواد الجينية الأجنبية داخل الخلايا الحية باستخدام نبضات متناهية الصغر من شعاع الليزر، وتقاس النبضات بالفمتو ثانية ؛ وقد أطلق على الجهاز المستخدم في هذه التكنولوجيا الجديدة : اسم الفمتو سكوب ؛ وهو جهاز يجعل طبقات خلايا البشرة واضحة ومرئية بما يتيح تشخيص الخلايا المصابة بمقارنتها بالخلايا السليمة وكذلك يمكن تدمير الخلايا المصابة عن طريق هذا الجهاز . وكذلك يستخدم ليزر الفمتو ثانية في تصحيح اختلالات البصر وهي كلها أبواب وفتوحات علمية ناتجة عن الكشف عن هذه الوحدة الزمنية المتناهية الصغر : الفمتوثانية "Femto-Second" . انظر : www.Aiarab.co.uk

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني : النص المعجز الأول بسورة الحج ؛ في الآية السابعة والأربعين :

المبحث الأول : التعريف بسورة الحج وأهدافها ومقاصدها إجمالا :

تميزت سورة الحج ــ بين سور القرآن الكريم ــ بميزات خاصة ، لفتت أنظار العلماء ؛ فيقول الفقيه ابن تيمية : إنها سورة " فيها مكي ومدني ، وليلي ونهاري ، وسفري وحضري ، وشتائي وصيفي ، وتضمنت منازل المسير إلى الله بحيث لا يكون منزلة ولا قاطع يقطع عنها ، ويوجد فيها ذكر القلوب الأربعة : الأعمي والمريض والمخبت الحي والمطمئن إلى الله ، وفيها من التوحيد والحِكَم والمواعظ على اختصارها ما هو بَيِّن لمن تدبره ، وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها : توحيدا وصلاة وزكاة وحجا وصياما ؛ قد تضمن ذلك قوله ــ تعالى ــ : {وَافْعَلُوا الخَيْرَ}(١) (٧٧) الحج كل واجب ومستحب فخصص في هذه الآية وعمم ، إنها سورة الملة الإبراهيمية " (٢) .

وقد اختلفت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في خصوص كون هذه السورة مكية أو مدنية ، فقد روي عنه أنها مدنية كلها ووافقه في ذلك : قتادة والضحاك وغيرهما، كما روي عنه أنها" مكية سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة ":{هَذَانِ خَصْمَانِ}(٣) إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة " (٤)وهو ما يقترب من رأي الجمهور في أن فيها آيات مكية وآيات مدنية (٥) .

---

(١) : سورة الحج ، من الآية (٧٧) .

(٢) : دقائق التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق : الأستاذ الدكتور / محمد الجليند ، طبعة مؤسسة علوم القرآن بدمشق ، سوريا ، الطبعة الثانية ، لسنة ١٤٠٤هـ . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا: دقائق التفسير ، ٤ / ٣٧١ .

(٣) : سورة الحج ، من الآية ١٩ .

(٤) : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي (طبعة : دار الكتب العلمية ببيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : الإتقان في علوم القرآن ، ١ / ١٧ ، ١٨ وانظر كذلك : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير ، الشوكاني ، طبعة عالم الكتب ببيروت ، لبنان ، د : ت . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : فتح القدير ٣/ ٦٢١ .

(٥) : الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٢ ، ٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتميزت سورة الحج ــ كذلك ــ بالخطاب الإلهي المتكرر إلى الناس خاصة ؛ إذ تكرر الخطاب بقوله ــ تعالى ــ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } (أربع) مرات ، وتكررت لفظة الناس في هذه السورة (خمس عشرة مرة) ، وقد بدأت السورة بهذا النداء {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وانتهت بآية تتضمن لفظة : (الناس) أيضا ، ولما كان القرآن الكريم ليس فيه ضرورة لفظية ، وإنما لكل حرف فيه حكمة ودلالة : فإن التركيز على (الناس) هنا كان له حِكَمٌ ربما ندرك منها أن الحج كما قيل : " موسم ومؤتمر ، وتجارة وعبادة ، واجتماع وتعارف ، وتنسيق وتعاون ، وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا بالآخرة ، كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة " ([1]) فهو إذن عبادة جماعية تؤسس لفكرة المساواة بين المسلمين، وتؤصل لمبدأ العبودية لله بين جميع (الناس) وهو ما ركزت عليه الآيات الكريمة .

وليس من نافلة القول ــ كذلك ــ أن نشير بإيجاز إلى ما اختصت به سورة الحج من وجوه إعجاز لها مقام آخر لتفصيل القول فيها ؛ إذ يلحظ المتأمل لآياتها كثرة استعمال حروف التوكيد التي وصل استعمالها إلى إحدى وثلاثين مرة في آيات السورة بين التوكيد بـ : (إن) و (أن) وغير ذلك ، وهو أمر له دلالته ([2]) .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، طبعة دار الشروق ، مصر ، الطبعة الثالثة والعشرون . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : في ظلال القرآن . انظر فيه : ٣ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) استعمل التوكيد في السورة في معان عدة :

ــ ففي معنى إشعار المسلم بالمراقبة الدائمة بينه وبين الله سبحانه وتعالى نجد قول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } الآية (١٧) وآيات أخرى كثيرة؛ أرقامها:(٣٨ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٧٠)

ــ وفي معنى إشعار المؤمن بالقوة والعزة في حياته نجد قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا } الآية (٣٨) وآيات أخرى كثيرة أرقامها (٣٩ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤) .

ــ وفي معنى إشعار المؤمن بأن جميع ما يحدث له إنما هو قضاء الله وقدره نجد قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } الآيتان (١٤، ١٦) وكذلك في آيات أخرى مثل الآيتين (١٠ ، ١٨)

ــ وفي معنى طمأنينة المؤمن على مصيره في الآخرة نجد قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } الآيتان (١٤ ، ٢٣) .

ــ وفي معنى طمأنينة المؤمن كذلك وحثه على أن يعيش في مصالحة ومؤانسة مع الكون وأسراره ونواميسه متأملا لإعجاز ربنا سبحانه وآياته جل وعز ــ وهو القادر على كل شيء ــ نجد قوله ــ تعالى ــ : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ } الآية (١٨) وكذلك في الآية (٦٥) .

وفي معنى الهداية الفكرية الحامية لعقل المسلم وقلبه من الشهوات والنوازع نجد قوله تعالى :{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الآية ٦) ، وآيات أخرى مثل الآيتين (١٠ ، ٦٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كمـــا اختصـــت هذه السورة بأنها السورة الوحيدة التي وردت فيها سجدتان من ســـجدات الـــتلاوة من بين خمس عشرة سجدة في القرآن الكريم كله ، وذلك في الآيتين : الثامـــنة عشـــرة ([1]) والســـابعة والسبعين([2]) ، وهو أمر له ــ قطعًا ــ دلالته التي من أقربها أن قارئ سورة الحج يُبكي الشيطان مرتين([3]) .

وأخـــيرًا فلقد امتازت سورة الحج بأنها السورة الوحيدة ــ أيضًا ــ التي سميت باسم أحد أركان الإسلام الخمسة .

إن هـــذه الأمـــور كلها لها أسرارها ودلالتها ، وسيظل العلماء في جد واجتهاد لفهم المزيد من هذه الأسرار والدلالات .

وفـــي ضوء ما اختصت به سورة الحج مما أشرنا إليه : جاءت موضوعات هذه الســـورة ، ولعـــل أهم ما يلفت النظر في موضوعاتها أنها ــ وهي سورة الحج ــ لم تبدأ بالحديـــث عن الحج وإنما بدأت بموضوعين آخرين ؛ فتحدثت عن البعث وما يحدث للناس فـــيه في عشر آيات ثم تحدثت عمن يعبد الله ــ سبحانه ــ على حرف شكًا ونفاقا وضلالا وذلـــك فـــي أربـــع عشرة آية ، وهما موضوعان يعتبران توطئة للحديث عن الحج الذي تناولـــته الآيـــات الكريمة بدءا من الآية الرابعة والعشرين بعد أن هيأت القلوب له ، وهو حديث استمر حتى الآية السابعة والثلاثين ، ثم تحدثت الآيات عن سنة المدافعة وذلك حتى الآيـــة الثامـــنة والأربعين ، ثم تناولت السورة قصة الغرانيق([4]) وذلك حتى الآية الثامنة والخمسين ، وتناولت السورة إلى نهايتها الحديث عن المؤمنين في هجرتهم في سبيل ربهم وجهـــادهم وإيمـــانهم بآياته في كونه ــ وهو القادر عز وجل ــ وعبادتهم له ــ سبحانه ــ

---

(١) يقـــول الله ــ تعالى ــ : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالـــنجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } (١٨) الحج .

(٢) يقـــول الله ــ تعـــالى ــ : { يَـــا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٧٧) الحج .

(٣) جـــاء في مسند الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وســـلم ــ " إذا قـــرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله ، أُمر بالسجود فسجد فله الجـــنة ، وأمـــرت بالســـجود فعصيت فلي النار " . انظر : مسند الإمام أحمد ، طبعة دار إحياء التراث العربـــي ، د : ت ، (سبعة مجلدات) وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : مسند الإمام أحمد انظر فيه : الحديث رقم ٩٣٣٦ .

(٤) تـــناول كثـــير مـــن كتب التفسير هذه القصة ، وليس البحث مجالا لتفصيل الحديث فيها ، والجمهور على نقدها ونقضها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دون غيره ومنهجهم في جهادهم ونصرتهم لربهم .

المبحث الثاني : سبب نزول الآية ومعناها إجمالا :

نزلت هذه الآية في كفار قريش أو بعضهم ؛ مثل النضر بن الحارث وأبي جهل بن هشام ؛ لما استهزأ هؤلاء الكفار بما يحذرهم منه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم " (١) . ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في أكثر من موضع على ألسنة هؤلاء ؛ من مثل قوله ــ تعالى ــ : { وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عندكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }(٢) ومثل قوله ــ تعالى ــ : { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ }(٣) ومثل قوله ــ تعالى ــ : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }(٤).

فلما استعجل هؤلاء العذاب كما بينت الآيات الكريمة السابقة : بيَّن الله ــ عز وجل ــ أنه لن يخلف وعده لرسوله فيهم " من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم(٥) ، فقتلهم يوم بدر "(٦)، وقد نقل القرطبي عن الزجاج قوله

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن خالد .. أبو جعفر ت : ٣١٠ هـ)، طبعة : دار الفكر ببيروت ، لبنان ، لسنة ١٤٠٥هـ ، (ثلاثون جزءا) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **تفسير الطبري** ١٧ / ١٨٣

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٢) .

(٣) سورة ص الآية (١٦) .

(٤) سورة العنكبوت ، الآيتان (٥٣، ٥٤) .

(٥) تناول ابن كثير وغيره من المفسرين بيان معنى الوعد واستعماله في العذاب ، فنقل في تفسيره ، قال: " قال الأصمعي: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه عمرو بن عبيد فقال: ياأبا عمرو، هل يخلف الله الميعاد ؟ فقال: لا،-فذكر آية وعيد، فقال له: أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما، وعن الإيعاد كرما، أما سمعت قول الشاعر:

ولايرهب ابن العم والجار سطوتي ولا أنثني عن سطوة المتهدد

فإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وجاء في كتب اللغة : وَعَده وعْدًا : يستعمل في الخير والشر ، ويُعدى بنفسه وبالباء ، فيقال : وعده الخير وبالخير ، وشرا وبالشر ، وقد أسقطوا لفظ الخير والشر ، وقالوا في الخير : وعده وعدا و: عدة ، وفي الشر : وعده وعده وعيدا ، فالمصدر فارق ، و: أوعده إيعادا ، وقالوا : أوعده خيرا وشرا بالألف أيضا ، وأدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة . انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (إسماعيل بن عمر ... الدمشقي، أبو الفداء، ت:٧٧٤هـ)، طبعة دار الفكر ببيروت ، لبنان ، سنة ١٤٠١هـ. (أربعة أجزاء في أربعة مجلدات) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **تفسير ابن كثير** .

(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح .. أبو عبدالله ... ت:٦٧١ هـ) ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، طبعة : دار الشعب بالقاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ؛ سنة ١٣٧٢ هـ ، (عشرون جزءا في عشرة مجلدات . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **تفسير القرطبي** . ١٧ / ١٨٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـــي ذلـــك : " استعجلوا العذاب فأعلمهم الله أنه لا يفوته شيء؛ وقد نزل بهم في الدنيا يوم بـــدْر " ([1])، فهو إذن عذاب " واقع لامحالة ، لكن لوقوعه أجلا لايتعداه ، وأضاف الوعد إلـــيه لأن رســـول الله علـــيه الصلاة والسلام هو المخبر عن الله تعالى "([2]) ، وبالقرآن الكـــريم آيـــات تشـــير إلى المعنى نفسه ؛ من مثل قوله ــ تعالى ــ : { ولوْلا أجلٌ مُسمًّى لَّجَـــاءَهُمُ العَـــذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}([3]) وقوله ــ تعالى ــ : { أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ }([4]) وقوله ــ تعالى ــ :{أَثُمَّ إِذَا مَـــا وَقَـــعَ آمَنـــتُم بِـــهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ }([5]) . ولذلك نعى القرآن الكريم على هـــؤلاء استعجالهم للعذاب ، وجهلهم بما يستعجلونه لأنفسهم ، وفي هذا السياق قال الله ــ عز وجل ــ : { وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }([6]) .

المبحث الثالث : آراء العلماء في المقصود باليوم ومقداره في الآية الكريمة :

النقطة الأولى : آراء العلماء في المقصود باليوم في الآية الكريمة ([7]) :

اختلف العلماء في المقصود باليوم في الآية الكريمة على رأيين :

الـــرأي الأول : يـــرى أصـــحابه أنـــه من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ، واستدلوا بأدلة عديدة ؛ منها :

ــ ما نُقل عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : في : { وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } ؛ قال : من الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض([8]) .

ــ مـــا نُقـــل عن مجاهد في : { وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } ؛ **قال : هي مثل قوله في { الـــم . تَنزِيلُ } سواء ، هو هو الآية . ([9]) .**

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٨٤ .

(٢) الـــبحر المحـــيط في التفسير ، أبو حيان (محمد بن يوسف ...الأندلسي الغرناطي ، ت : ٧٥٤ هـــ) تحقـــيق زهـــير جعـــيد ، طبعة دار الفكر ببيروت ، لبنان ، د : ت . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **البحر المحيط .** ٧ / ٥٢٢ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٥٣) .

(٤) سورة هود ، الآية (٨) .

(٥) سورة يونس ، الآية (٥١) .

(٦) سورة الحج ، من الآية (٤٧) .

(٧) فضـــلنا فصـــل الحديث في المقصود باليوم عن المقصود بمقدار اليوم هنا فقط ــ في سورة الحج ــ للتوضيح ، ويمكن الحديث عنهما معا في نقطة واحدة بعد ذلك .

(٨) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٤ . القرطبي ١٧ / ١٨٥ .

(٩) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ مـا جـاء عند ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا حماد بن زيـد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين، عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال: إن الله تعـالى خلـق السـماوات والأرض في ستة أيام { وَإِنَّ يَوْماً عِند رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُـدُّونَ} وجعـل أجل الدنيا ستة أيام، وجعل الساعة في اليوم السابع { وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَـأَلْفِ سَـنَةٍ مِّمَّـا تَعُدُّونَ}. فقد مضت الستة الأيام وأنتم في اليوم السابع فمثل ذلك كمثل الحامل إذا دخلت شهرها في أية لحظة ولدت كان تماما([1]) .

<u>الرأي الثاني :</u> ويرى أصحابه أنه من أيام الآخرة، واستدلوا بأدلة عديدة؛ منها ([2]) :

ـ مـا نُقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، كذلك ـ ؛ قال : مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة ([3]) .

ما رواه جرير عن أبي هريرة موقوفا ؛ فقال : حدثني ابن علية ، حدثني سعد ، عن أبـي نضرة ، عن سمير بن نهار ، قال : قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنـياء بمقـدار نصـف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: { وَإِنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّكَ كأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ }([4]) .

ـ مـا نُقـل عن مجاهد: { وَإِنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّكَ كأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } ؛ قال : من أيام الآخرة.

ـ مـا نُقل عن عكرمة أنه قال في هذه الآية : { وَإِنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّكَ كأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُـدُّونَ }: هذه أيام الآخرة. وفي قوله : { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } قال : يوم القيامة وقرأ :{ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدا وَنَرَاهُ قَرِيبا } ([5]) .

---

(١) تفسـير القـرآن العظـيم مسـندًا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، ابن أبي حاتم الرازي (عبد الرحمـن بن أبي حاتم الرازي ، أبو محمد . ت : ٣٢٧ هـ) ، د : ن ، د : ت . (أربعة مجلدات) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : <u>تفسير ابن أبي حاتم</u> ، ٣ / ٦٩٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧ / ١٨٥ . تفسير القرطبي ١٧ / ١٨٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٥ .

(٤) تفسير ابن كثير . ٣ / ٢٢٨ .

(٥) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النقطة الثانية : آراء العلماء في مقدار اليوم المذكور في الآية الكريمة :

اختلف العلماء في تفسير طول اليوم عند الله سبحانه وتعالى على ثلاثة آراء ؛ هي :

الرأي الأول : يرى أصحابه أن مقدار ذلك اليوم : **ألف سنة مما يعده أهل الدنيا من أيامهم ، وهو رأي اختاره الطبري ــ رحمه الله ــ ورجحه ، كما اختاره ورجحه كثير من العلماء قديما وحديثا :**

يقول الطبري ــ رحمه الله ــ " قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل، ولكنه يُمْهل إلى أجل أجَله، وأن البطيء عندهم قريب عنده، فقال لهم: مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدّونه أنتم أيها القوم من أيامكم، وهو عندكم بطيء وهو عندي قريب " ([1]) .

ويقول ــ كذلك ــ مرجحا لهذا الرأي على غيره : " **والقول الثاني عندي أشبه بالحقّ في ذلك** وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده، ثم أتبع ذلك قوله: { وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظالِمَةٌ }([2]) فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب، فبين بذلك أنه عنى بقوله: { وَإنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } نفي العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار. وإذ كان ذلك كذلك، كان تأويل الكلام: **وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة، يوم واحد كألف سنة من عددكم،** وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدّته"([3]) .

وممن نقل ذلك من العلماء : أبو حيان ؛ فقدم على بقية الآراء أن : " **اليوم عند الله ألف سنة من عددكم** " ([4]) ودلل على ذلك بما جاء في الحديث الصحيح : " **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام** " ([5]) .

---

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٤ .

(٢) سورة الحج ، من الآية (٤٨) .

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٥ .

(٤) البحر المحيط ٧ / ٥٢٣ .

(٥) ورواه كذلك أبوهُرَيرَةَ رَضيَ اللّهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه: «يَدْخلُ فُقَرَاءُ المُسْلمينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ». رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال الحافظ: ورواته محتجّ بهم في الصحيح، ورواه ابن ماجه بزيادة من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما نقله ابن كثير ودلل عليه بأدلة كثيرة ؛ منها الحديث السابق الذي رواه بأكثر من طريق ؛ ليدلل على أن " مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده " ؛ فجاء فيه :

ـ قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام " ورواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري عن محمد بن عمرو ، به، وقال الترمذي: حسن صحيح . وقد رواه ابن جرير عن أبي هريرة موقوفاً فقال: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن سمير بن نهار قال: قال أبو هريرة : " يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم، قلت: وما مقدار نصف يوم ؟ قال أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت ، بلى ، قال: { وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}" . وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحم من سننه: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» قيل لسعد : وما نصف يوم ؟ قال: خمسمائة سنة** " .

وأشار إلى ذلك ـ أيضا ـ علماء آخرون قديما ([1]) .

أما حديثا فقد ذكر السعدي " أن الله حليم، ولو استعجلوا العذاب، فإن يوماً عنده، كألف سنة مما تعدون. فالمدة، وإن تطاولتموها، واستبطأتم فيها نزول العذاب، فإن الله يمهل المدد الطويلة، ولا يهمل، حتى إذا أخذ الظالمين بعذابه، لم يفلتهم " ([2]) . كما أشار الشنقيطي إلى ما نقله ابن كثير ، واستدل به ؛ من أحاديث على الرأي نفسه ([3]) .

---

(١) معالم التنزيل ، البغوي (الحسين بن مسعود الفراء ...أبو محمد ، ت : ٥١٦ هـ) ، تحقيق : خالد العك ، ومروان سوار ، طبعة : دار المعرفة ببيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ . (أربعة مجلدات) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **تفسير البغوي** ، ٣ / ٢٩٢ ، ٢٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات ، وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **تفسير السعدي** ، انظر فيها : تفسير سورة الحج .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي، ت : ١٣٩٣هـ) ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات (سبعة مجلدات) ، وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **أضواء البيان** ، ٥ / ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الـــرأي الثانـــي : ويرى أصحابه أن الآية الكريمة تشير إلى أن "يوما عند ربك من عذابهـــم في الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدّون في الدنيا " ([١]) . وهو ما نقله الطبري تعبـــيرا عن هذه الوجهة ، واختاره القرطبي ([٢]) وقدم الأدلة له ؛ إذ نقل عن الفراء أن : "هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم في الآخرة؛ **أيّ يوم من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة** ". وهـــو أمر لاينفي وقوع العذاب بهم في الدنيا ، وهو ما نقله القرطبي عن الزجاج بقوله : إنهم" استعجلوا العذاب فأعلمهم الله أنه لا يفوته شيء؛ وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر"([٣]).

الـــرأي الثالث : ويرى أصحابه أن المقصود باليوم عند ربنا في قوله ــ تعالي ــ : { وَإِنَّ يَوْمـــا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } : هو أن ما ينالهم من العذاب وشدته (كألف ســـنة) لـــو بقـــي وعذب في كثرة الآلام وشدتها ، فبين ــ سبحانه ــ أنهم لو عرفوا حال عـــذاب الآخـــرة وأنه بهذا الوصف لما استعجلوه " ([٤]) . وذكر الرازي الذي نقلنا عنه النص السابق أن هذا هو " أولى الوجوه " ، وإن كان قد نقل الآراء الأخرى بعد ذلك مثلما فعل غيره من العلماء قديما .

وقد أشار الشنقيطي ــ حديثا ــ في كتابه : أضواء البيان ([٥]) إلى هذا الرأي وحشـــد له الأدلـــة ــ التي يغلب عليها الطابع الأدبي ــ فقال : " والظاهر في الجواب: أن يوم القيامة يطول على الكفار ويقصر على المؤمنين، ويشير لهذا قوله تعالى بعد هذا بقليل { المُلْـــكُ يَوْمَـــئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً }([٦]) فتخصيصه عسر ذلك اليوم بالكافرين: يدل على أن المؤمنين ليسوا كذلك وقوله تعالى:{ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ .

---

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٨٤ .

(٢)تفسير القرطبي ١٢ / ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) تفسير القرطبي ١٢ / ١٨٦ .

(٤) التفســـير الكبـــير أو مفاتيح الغيب ، الرازي (محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي الـــبكري ...الشـــافعي ، ت : ٦٠٤ هـــ) طبعة : دار الكتب العلمية ببيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـــ = ١٩٩٠ م . (ثلاثون جزءا في خمسة عشر مجلدا) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : تفسير الرازي ، ٢٣ / ٤١ .

(٥) انظر ٥ / ٧١٩ ، ٧٢٠ .

(٦) سورة الفرقان ، الآية (٢٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَلَــى الكَافِرِيــنَ غَيْرُ يسيرٍ }([1]) يدل بمفهوم مخالفته على أنه يسير على المؤمنين غير عســير كما دل عليه قوله تعالى: { مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} ([2]) .

وقــال ابــن جريــر: حدثنــي يونس، أنبأنا ابن وهب، أنبأنا عمرو بن الحارث: أن سعيداً الصــواف حدثه أنه بلغه: أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين، حتى يكون كما بين العصر إلــى غــروب الشمس، وأنهم يتقلبون في رياض الجنة، حتى يفرغ من الناس وذلك قوله: {أَصْــحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَراً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً }([3]) ونقله عنه ابن كثير في تفسيره، وأمــا على قول من فسر المقيل في الآية بأنه المأوى والمنزل كقتادة رحمه الله، فلا دلالة فــي الآية لشيء مما ذكرنا. ومعلوم أن من كان في سرور ونعمة، أنه يقصر عليه الزمن الطويــل قصــرا شديدا، بخلاف من كان في العذاب المهين والبلايا والكروب، فإن الزمن القصــير يطــول علــيه جدا ، وهذا أمر معروف، وهو كثير في كلام العرب ؛كقول أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أرقــــــت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طــــــــول

وقول الآخر:

فقصارهن مع الهموم طويلــــة وطوالهن مع السرور قصــــــــار

وقول الآخر:

ليلِي وليلَي نفى نومي اختلافُهما في الطُّول والطَّوْل طوبى لي لو اعتدلا

يجــود بالطُّول ليلِي كلما بخلت بالطَّوْل ليلَي ....وإن جادت به بخلا

ونحــو هذا كثير جدا في كلام العرب، ومن أظرف ما قيل فيه ما روي عن يزيد بن معاوية أنه قال:

لا أسأل الله تغييرا لما فعلت نامت وقد أسهرت عيني عيناها

فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصــر شيء حين ألقاها

---

(١) سورة المدثر ، الآيتان (٩ ، ١٠) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٨) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية (٢٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث : النص المعجز الثاني بسورة السجدة الآية الخامسة :

المبحث الأول : التعريف بسورة السجدة وأهدافها ومقاصدها إجمالا :

سـورة السـجدة مكية كما ذكر جمهور المفسرين ([1]) ، وعدد آياتها ثلاثون آيـة ، ونزلـت بعد سورة غافر في وقت قريب للهجرة ؛ إذ نزلت بعد الإسراء ، وسُمِّيت بهـذا لتضـمنها سـجدة تـلاوة في الآية الخامسة عشرة بها([2]) ، وتُسمى كذلك : سجدة لقمـان؛ للـتفرقة بيـنها وبين سورة فصلت التي تسمى بـ : حم السجدة ؛ كما تسمى هذه السـورة بـ : المضاجع ؛ لما جاء في الآية السادسة عشرة بها من قول الله ـ تعالى ـ : {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ } [3] .

وهـي سورة لها ما تختص به ؛ إذ روى من الحديث الصحيح[4])عن ابن عباس ـ رضـي الله عنهما ـ وغيره[5]) : أن " النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة { الـم . تَنزِيلُ }[6])و { هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ } [7]) ، وقال الإمام أحمد [8]):

---

(١) ذكـر القرطبـي أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة ؛ من قوله ـ تعالى ـ : { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَـن كَـانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ }(١٨)السجدة ؛ تمام ثلاث ايات . قاله الكلبي ومقاتل . وقال غيرهما : إلا خمـس آيـات ؛ مـن قولـه ـ تعالى ـ : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ }(١٦) السجدة إلى قوله ـ تعالى ـ : { الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ } (١٦ : ٢٠) السجدة . انظر : تفسيرَ القرطبي :١٧ / ١٨٤ .

(٢) وهـي قولـه ـ تعالى ـ : { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ } .

(٣) سورة السجدة ، من الآية (١٦) .

(٤) انظـر : صحيح مسلم ، طبعة دار الكتب العلمية ، سنة ١٩٩٢ م ، (مجلدان) . وسيُشار إلى هذا المـرجع عـند وروده بعد ذلك هكذا صحيح مسلم . انظر فيه : حديث رقم (١٩٨٤) . و مسند الإمام أحمد ، حديث (٣٣٢٣) .

(٥) رواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري به .

(٦) سورة السجدة ، الآية (١) ومن الآية (٢) .

(٧) سورة الإنسان ، من الآية (١) .

(٨) انظر : انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث رقم (٩٩٠٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير كما روي(١) عن جابر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لاينام حتى يقرأ { الم . تَنزِيلُ } (٢)، و { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ}(٣) .

وسورة السجدة " نموذج آخر من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الضخمة التي جاء القرآن ليوقظها في الفِطَر ، ويركزها في القلوب .....هذه هي القضية التي تعالجها السورة " ؛ " بأسلوب مختلف ؛ إذ تعرض القضية " ثم تمضي ...تقدم مؤثرات موقظة للقلب ، منيرة للروح ، مثيرة للتأمل والتدبر ؛ كما تقدم أدلة وبراهين على تلك القضية معروضة في صفحة الكون ومشاهده ؛ وفي نشأة الإنسان وأطواره ؛ وفي مشاهد من اليوم الآخر حافلة بالحياة والحركة ؛ وفي مصارع الغابرين وآثارهم الناطقة بالعبرة لمن يسمع لها ويتدبر منطقها " و " ترسم السورة صورا للنفوس المؤمنة في خشوعها وتطلعها إلى ربها . وللنفوس الجاحدة في عنادها ولجاجها ؛ وتعرض صورا للجزاء الذي يتلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وكأنها واقع مشهود حاضر للعيان ، يشهده كل قارئ لهذا القرآن " .

وهي " تواجه القلب البشري بما يوقظه ويحركه ويقوده إلى التأمل والتدبر مرة ، وإلى الخوف والخشية مرة ، وإلى التطلع والرجاء مرة . وتطالعه تارة بالتحذير والتهديد ، وتارة بالإطماع ، وتارة بالإقناع . . ثم تدعه في النهاية تحت هذه المؤثرات وأمام تلك البراهين . تدعه لنفسه يختار طريقه "

ويمضي سياق الآية في عرض هذه القضية العامة في مقاطع متصلة ؛ إذ يبدأ المقطع الأول منها بالحروف المقطعة المؤكدة على أن الكتاب من جنس هذه الأحرف ؛ للتأكيد على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في أنه تنزيل { مِن رَّبِّ العَالَمِينَ }(٤). ثم تعرض بعد ذلك لقضية الألوهية وصفتها في خلق السماء والأرض وما بينهما وفي

---

(١) نقل ابن كثير أن هذا مما تفرد به الإمام أحمد رحمه الله . انظر فيه : ٣ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١) ومن الآية (٢) .

(٣) سورة الملك ، من الآية (١) .

(٤) سورة السجدة ، من الآية (٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهيمنة على الكون ، وكذلك ــ وهو ما يختص بالبحث ــ في تدبير الأمر في السماوات والأرض ، ورفع الأمر إليه وعروجه مرة أخرى في (يوم) : { كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }([1])، وغير ذلك مما تعرض له الآيات الكريمة من نشأة الإنسان . وكذلك تعرض السورة لأمر البعث والمصير ؛ فتعرض لمشاهد يوم القيامة ، وتصور حال المجرمين وحال المؤمنين ؛ وهما حالان ينطبق عليهما قول مَن قال : " وبضدها تتميز الأشياء " ، وتبين مصير هؤلاء وهؤلاء . ثم تعرض السورة لذكر موسى عليه السلام ووحدة رسالته مع رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجزاء الذين صبروا موقنين بالحق ، وتصور ــ إلى جانب هذا ــ مصارع السابقين الذين غفلوا عن دعوة الرسل ، ولم يسمعوا لهم ، وهما صورتان ؛ تميز إحداهما الأخري كذلك ، ويزيدهما وضوحا معا عرض الآيات الكريمة لصورة الأرض الميتة التي يُساق إليها الماء فتعمر بالحياة والنماء. ثم يكون ختام السورة بحكاية قول هؤلاء : { مَتَى هَذَا الْفَتْحُ }([2]) ؟ ، وهم يتساءلون في شك عن يوم الفتح الذي يتحقق فيه الوعيد ، والجواب بالتخويف من هذا اليوم والتهديد وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليعرض عنهم ويدعهم لمصيرهم المحتوم"([3]) .

المبحث الثاني : سبب نزول الآية ومعناها إجمالا :

هذه الآية الكريمة هي الآية الخامسة من سورة السجدة ؛ إذ تأتي بعد أربع آيات: بيَّن الله ــ جل وعز ــ فيها أن هذا الكتاب إنما هو من عند الله رب العالمين ؛ بما يشمل عجائب العالمين أيضا ، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن ادّعائهم بأنه كتابُ مفترٍ في صيغة استفهام إنكاري بليغ ؛ أجاب سبحانه بأنه الحق من الله ــ عز وجل ــ لإنذار قوم {مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ }([4]) . ثم بيّن الله ــ سبحانه ــ بعد ذلك ما

---

(١) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

(٢) سورة السجدة ، من الآية (٢٨) .

(٣) في ظلال القرآن ٣ / ٢٠ ــ ٢٤ . وانظر ــ كذلك ــ : أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن ، لأستاذنا الجليل المرحوم الدكتور / عبدالله شحاته ، طبعة مكتبة الأسرة بمصر سنة ٢٠٠٢ م . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **أهداف كل سورة ومقاصدها** ، ١ / ٥٢٣ ــ ٥٢٨ .

(٤) سورة السجدة ، من الآية (٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علـى الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعاء على التوحيد وإقامة الدليل ؛ فذكر خلقه ـ عـز وجل ـ للسماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، واستواءه على العرش ؛ ولذلك { مَـا لَكُـم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ }(١) . ولما بيّن ربنا ـ جلت قدرته ـ ما كان مـن أمر الخلق والعظمة والاستواء : بيّن في هذه الآية الخامسة من السورة أن أمره ـ سـبحانه ـ نـافذ فـي خلقـه ؛ فهـو ـ عز وجل ـ الذي { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ}(٢) في قدرة واقتدار ، وفي قدرة واقتدار كذلك يصعد إليه ذلك الأمر مرة أخرى { ثُـمَّ يَعْـرُجُ إِلَيْهِ }(٣) والعروج(٤) نفسه آية من آياته ، ومعجزة شاهدة على قدرته ، ويحـدث ذلـك { فِـي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }(٥) وهو (يوم) : ذكر

---

(١) سورة السجدة ، من الآية (٤) .

(٢) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

(٣) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

(٤) تـناول فضـيلة العـالم : الأستاذ الدكتور / زغلول النجار بيان الإعجاز العلمي في مسألة العروج ؛ حيـن شـرح فضـيلته تفصيلا : اللمحة الإعجازية في قول الله ـ تعالى ـ : { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّـمَاءِ فَظَلُّـوا فِيهِ يَعْرُجُونَ } (١٤) الحجر . وذلك في بحث بعنوان **لمحات إعجازية عن أبواب السماء وظلمـة الفضـاء** ؛ فلقد عرّف فضيلته بالعروج فقال إنه هو سير الجسم في خط منعطف مُنْحَن، فقد ثبت علمـيا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لابد لها من الانحناء نظرا لانتشـار المـادة والطاقـة في كل الكون " وأثبت الإعجاز في المسألة تفصيلا ؛ ليقرر أنه " لولا المعرفة الحقيقـية لعـروج الأجسام في السماء لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية، ولما استطاع ريادة الفضـاء حيـث أصـبح مـن الثابت أن كل جرم متحرك في السماء مهما كانت كتلته ـ محكوم بكل من القـوى الدافعـة له وبالجاذبـية مما يضطره إلى التحرك في خط منحن يمثل محصلة كل من قوى الجذب والطـرد المؤثـرة فيه، وهذا ما يصفه القرآن الكريم بالعروج، وهو وصف التزم به هذا الكتاب الخالد في وصـفه لحـركة الأجسـام في السماء في خمس آيات متفرقات وذلك قبل ألف وأربعمائة سنة من اكتشاف الإنسـان لـتلك الحقـيقة الكونـية المبهرة " . انظر البحث المنشور ضمن أبحاث الهيئة العالمية للإعجاز العلمـي ـ مكـة المكـرمة . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **لمحات إعجازية عن أبـواب السماء وظلمة الفضاء** ، ص : ٤ . ولقد وفّى فضيلته وكفى . وبحثنا هذا معنيٌّ ببيان أمر آخر في الإعجاز في خصوص وحدات الزمن المتناهية الصغر .

(٥) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جمهـور المفسـرين ــ كما سنبين فيما بعد ــ أن مقداره ([1]) ألف سنة مما نعد من أيام الدنيا : خمسمائة نزولا وخمسمائة صعودا ، وهي كلها بعض من آياته ودلائل قدرته .

المبحث الثالث : آراء العلماء في المقصود باليوم ومقداره في الآية الكريمة :

اختلف العلماء في المقصود باليوم ومقداره في الآية الكريمة على خمسة آراء ؛ هي:

الرأي الأول : يرى أصحابه أن مقدار (**اليوم**) المذكور في الآية الكريمة : ألف سنة مما نعد من أيام الدنيا ، وهو رأي جمهور العلماء ؛ فينقل الطبري ــ رحمه الله ــ أن المعنيَّ بقوله تعالى : { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } ([2]) " أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنة " ([3]) .

وقد قدم الطبري أدلة عديدة لهذا الرأي ؛ منها ما يلي :

ــ ما نقل عن مجاهد { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ } يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، وذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام .

ــ ما نقل عن قتادة : { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ، يقول: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون

---

(١) عرّف فضيلة الدكتور / محمد حسب النبي زمن العروج بأنه : " هو الزمن الدال على السرعة العظمى التي يعرج فيها الأمر إلى الله ، أو تعرج الملائكة فيها إلى الله عز وجل " ، في بحث بعنوان : **الزمن بين العلم والقرآن** " . ص : ٣ ، وهو بحث معنيٌّ بموضوعات غير التي يعنى هذا البحث بها ؛ فلد تحدث فضيلته عن أمور مثل : الزمن النفسي وتطور الكون وعمره وهكذا .

انظر : انظر البحث المنشور ضمن أبحاث الهيئة العالمية للإعجاز العلمي ــ مكة المكرمة . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : الزمن بين العلم والقرآن .

(٢) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

(٣) تفسير الطبري ٢١ / ٩١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة .

ـ مـا نقل عن الضحاك {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } قال : تعرج الملائكة إلى السماء، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه، وهو مسيرة ألف سنة.

ـ ما نقل عن عكرمة { أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } قال : من أيام الدنيا.

ـ مـا نقل عن ابن عباس، في قوله: { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ } : من أيامكم هذه مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمس مئة عام .

ـ ما نقل عن قتادة ـ أيضا ـ قال : تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض في يوم واحد، مقداره ألف سنة، خمس مئة حتى ينزل ، وخمس مئة حتى يعرُج " .

يقـول القرطبي ـ رحمه الله ـ بعد تقديمه للأدلة السابقة ترجيحا للرأي السابق **" وأولـى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثـم يعرج إليه في يوم، كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلـى الأرض ألـف سـنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول، وخمس مئة في الصعود، لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل "** (١) .

ونقـل الرازي ـ رحمه الله ـ أن أحد الوجوه هنا : " أن نزول الأمر وعروج العمـل فـي مسافة ألف سنة مما تعدون ، وهو في يوم ، فإن بين السماء والأرض مسيرة خمسـمائة سنة ، فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ، ويعرج في مسيرة خمسمائة سنة ، فهو مقدار ألف سنة " (٢) .

وقـد قـدم القرطبي أدلة عديدة في ترجيح هذا الرأي ؛ حاول أن يميز بينها في التركـيز علـى مـا تـرجع إليه (الهاء) في (مِقْدَارُهُ) : أهي ترجع إلى التدبير أم إلى العـروج أم إلى الحكم في الأمر بعد عروجه أم إلى المسافة ....إلى غير ذلك مما توضحه هذه الأدلة كما يقدمها القرطبي ؛ إذ يقول : " والهاء في (مِقْدَارُهُ) راجعة إلى :

ـ التدبير ؛ والمعنى : كان مقدار ذلك التدبير ألفَ سنة من سني الدنيا؛ أي يقضي أمـر كل شيء لألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى ملائكته، فإذا مضت قضى لألف سنة

---

(١) تفسير الطبري ٢١ / ٩٢ .

(٢) تفسير الرازي ٢٥ / ١٥٠ ، ١٥١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى، ثم كذلك أبداً؛ قاله مجاهد.

ـ وقيل : الهاء للعروج.

ـ وقيل: المعنى : أنه يدبّر أمر الدنيا إلى أن تقوم الساعة، ثم يعرج إليه ذلك الأمر فيحكم فيه في يوم كان مقداره ألف سنة.

ـ وقيل: المعنى : يدبر أمر الشمس في طلوعها وغروبها ورجوعها إلى موضعها من الطلوع، في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة.

ـ **وقال ابن عباس : المعنى : كان مقداره لو ساره غير الملَك ألف سنة؛ لأن النزول خمسمائة والصعود خمسمائة.** وروي ذلك عن جماعة من المفسرين، وهو اختيار الطبريّ؛ ذكره المهدويّ. وهو معنى القول الأول. أي أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم من أيامكم؛ ذكره الزمخشريّ. ـ وذكر الماورديّ عن ابن عباس والضحاك أن الملَك يصعد في يوم مسيرة ألف سنة.

ـ وعن قتادة أن الملَك ينزل ويصعد في يوم مقداره ألف سنة؛ فيكون مقدار نزوله خمسمائة سنة، ومقدار صعوده خمسمائة على قول قتادة والسديّ.

ـ وعلى قول ابن عباس والضحاك: النزول ألف سنة، والصعود ألف سنة. {مِّمَّا تَعُدُّونَ} أي مما تحسبون من أيام الدنيا.

وأشار القرطبي إلى أن " هذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة مِن سِنِي العالَم ، وليس بيوم يستوعب نهاراً بين ليلتين؛ لأن ذلك ليس عند الله. والعرب قد تعبّر عن مدّة العصر باليوم؛ كما قال الشاعر:

يومان : يومُ مُقامات وأندية ويومُ سيرٍ إلى الأعداء تأويب

وليس يريد يومين مخصوصين، وإنما أراد أن زمانهم ينقسم شطرين، فعبّر عن كل واحد من الشطرين بيوم "(١) .

ونقل ابن كثير ـ كذلك ـ في معنى قوله ـ تعالى ـ { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } (٢) أي : يتنزل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ٨٧ .

(٢) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأرض السابعة ، كما قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }(١)، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة .

وقد أشار ابن كثير إشارة مهمة فيما قاله مجاهد وقتادة والضحاك من أن : **النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين**، ولهذا قال تعالى :{ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ . ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ }(٢)؛ أي المدبر لهذه الأمور، الذي هو شهيد على أعمال عباده " (٣) .

وجاء في تفسير الجلالين أنه : { يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلأَرْضِ} مدة الدنيا { ثُمَّ يَعْرُجُ} يرجع الأمر والتدبير{ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} في الدنيا "(٤).

ونقل السعدي ــ أيضا ــ أن معنى الآية : { يُدَبِّرُ } القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة بتلك التدابير من عند الملك القدير { مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ } فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويُكرمُ، ويُهِينُ، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، ويُنزِّل الأرزاق. { ثُمَّ يَعْرُجُ } أي : الأمر ينزل من عنده، ويعرج إليه {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } ، **وهو يعرج إليه، ويصله في لحظة** "(٥) .

وأشار العكبري إلى أن " قوله تعالى :{ مِمَّا تَعُدُّونَ} : يجوزُ أنْ يكونَ صفة لِألف، وأنْ يكونَ صفة لِسنَة " (٦) .

---

(١) سورة الطلاق ، من الآية (١٢) .

(٢) سورة السجدة ، من الآيتين (٥ ، ٦) .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥٨ .

(٤) تفسير الجلالين ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **تفسير الجلالين .** انظر فيها : تفسير سورة السجدة .

(٥) تفسير السعدي ، تفسير سورة السجدة .

(٦) التبيان في إعراب القرآن ، العكبري ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات ، انظر فيها : سورة السجدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأشـــار الشنقيطي ــ كذلك ــ إلى أن " يوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى " ([1]) .

هــذا هو رأي الجمهور ، الذي يؤكد على أن اليوم ــ هنا ــ مقداره ألف سنة من أيام الدنيا .

الــرأي الثاني : ويرى أصحابه أن اليوم في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهــن الخلــق ، ومقداره ألف سنة مما نعد من أيام الدنيا ؛ فيكون معنى قوله ــ تعالى ــ: { يُدَبِّــرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُــدُّونَ }([2]) : " يدبــر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ الخلق، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم " .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة ؛ منها ([3]) :

ــ مــا نقــل عــن ابن عباس : { أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } ؛ قال : ذلك مقدار المسير كقولــه : {كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ }([4]) ، قال: خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم .

ــ مــا نقــل عنه ــ ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ــ وعن عكرمة أن المعنى : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

ــ مــا نقــل عن الضحاك في قوله ــ تعالى ــ { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُــدُّونَ } يعنــي : هــذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

الرأي الثالث : ويرى أصحابه أن معنى قوله ــ تعالى ــ : { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ

---

(١) دفــع إيهــام الاضطراب عن آي الكتاب ،الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي ، ت : ١٣٩٣هـــ) ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات ، وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **دفع إيهام الاضطراب** . ص : ١٠٤ .

(٢) سورة السجدة ، الآية (٥) .

(٣) تفسير الطبري ٢١ / ٩١ .

(٤) سورة الحج ، من الآية ٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إِلَـى الأَرْضِ } أي : بالملائكة [1] ، { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } ؛ أي : من أيام الدنيا

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة [2] ؛ منها :

ـ مـا نقـل عن ابن عباس، في قوله{ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ } قال: هذا في الدنيا تعرج [3] الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة.

ـ مـا نقـل عـن عكـرمة { فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ } قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة .

ـ مـا نقل عن عكرمة ـ أيضا ـ أنه قال في هذه الآية : { يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة .

الرأي الرابع : ويرى أصحابه أن معنى ذلك : " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة [4] ؛ منها :

ـ مـا نقـل عن مجاهد ، أنه قال : يقضي أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ثم

---

(١) نقـل القرطبـي أنه قيل : يدبّر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملَك الموت، وإسرافيل؛ صلوات الله علـيهم أجمعيـن. فأمـا جبريل فموكّل بالرياح والجنود. وأما ميكائيل فموكّل بالقطر والماء. وأما ملَك المـوت فموكّـل بقـبض الأرواح. وأمـا إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم. وقد قيل: إن العرش موضع التدبـير؛ كما أن ما دون العرش موضع التفصيل؛ قال الله تعالى: {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَـرَ كُـلٌّ يَجْـرِي لأَجَـلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ} (الرعد: ٢). وما دون السموات موضع التصـريف؛ قال الله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ} (الفرقان: ٥٠) . انظر : تفسير القرطبي : ١٤ / ٨٦ .

(٢) تفسير الطبري ٢١ ٩٢ .

(٣) نقـل القرطبـي ـ كذلـك ـ فـي قوله ـ تعالى ـ : { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } : " قال يحيى بن سلام: هو جـبريل يصعَد إلى السماء بعد نزوله بالوحي النقاش: هو الملَك الذي يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض . انظر : تفسير القرطبي : ١٤ / ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) تفسيرالطبري ٢٩ / ٦٩ . القرطبي ١٤ / ٨٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلــك حتى تمضي ألف سنة، ثم يقضي أمر كل شيء ألفا، ثم كذلك أبدا، قال : { يَوْمٍ كانَ مِقْــدَارُهُ }، قــال : اليوم أن يقال لما يقضي إلى الملائكة ألف سنة، كن فيكون، ولكن سماه يومــا . ســماه كما بيَّنا كل ذلك عن مجاهد، قال : وقوله : { إنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّك كألْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون } قال: هو هوسواء .

الــرأي الخامس : ويرى أصحابه أن **العروج فقط يكون في يوم مقداره ألف سنة** ، وبذلــك يكون معنى قوله ــ تعالى ــ : { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِــي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } أي : " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة، مقدار العروج ألف سنة مما تعدّون .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة (١) ؛ منها :

ــ مــا نقل عن ابن زيد، في قوله ــ تعالى ــ : { ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْــفَ سَــنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } قال بعض أهل العلم : مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه .

هذه هي الآراء الخمسة بأدلتها في المقصود باليوم ومقداره في هذه الآية .

---

(١) تفسير الطبري ٢٩ ٦٩ ، ٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع : النص المعجز الثالث بسورة المعارج الآية الرابعة :

المبحث الأول : التعريف بسورة المعارج وأهدافها ومقاصدها إجمالا :

سورة المعارج سورة مكية باتفاق ، وعدد آياتها : أربع وأربعون آية ،وتسمى ـ كذلك ـ بـ : " سأل سائل " ([1]) وقد نزلت ([2]) في النضر بن الحارث حين قال { اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِن عِندِكَ } الآية ، فدعا على نفسه ، وسأل العذاب ، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرًا، ونزل فيه { سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } الآية .

" والحقيقة الأساسية التي تعالج السورة إقرارها هي حقيقة الآخرة وما فيها من جزاء ؛ وعلى وجه الخصوص ما فيها من عذاب للكافرين ، كما أوعدهم القرآن الكريم . وهي تلم – في طريقها إلى إقرار هذه الحقيقة – بحقيقة النفس البشرية في الضراء والسراء . وهي حقيقة تختلف حين تكون مؤمنة وحين تكون خاوية من الإيمان . كما تلم بسمات النفس المؤمنة ومنهجها في الشعور والسلوك ، واستحقاقها للتكريم . وبهوان الذين كفروا على الله وما أعده لهم من مذلة ومهانة تليق بالمستكبرين . . وتقرر السورة كذلك اختلاف القيم والمقاييس في تقدير الله وتقدير البشر ، واختلاف الموازين . . .

وتؤلف بهذه الحقائق حلقة من حلقات العلاج الطويل لعقابيل الجاهلية وتصوراتها ، أو جولة من جولات المعركة الشاقة في دروب النفس البشرية ومنحنياتها .

وحقيقة الآخرة هي ذاتها التي تصدت لها سورة الحاقة ـ السورة السابقة عليها ـ ، ولكن هذه السورة تعالجها بطريقة أخرى ، وتعرض لها من زاوية جديدة ، وصور وظلال جديدة . .

في سورة الحاقة كان الاتجاه إلى تصوير الهول والرعب في هذا اليوم ، ممثلين في حركات عنيفة في مشاهد الكون الهائلة { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الواقعة }([3]) . . وفي الجلال المهيب

---

(١) انظر ـ مثلا ـ أهداف كل سورة ومقاصدها ، ص ٧٢ .

(٢) أسباب النزول النيسابوري (علي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن) ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات (سبعة مجلدات) ، وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : أسباب النزول . انظر : سورة المعارج .

(٣) سورة الحاقة ، الآيات (١٣ ، ١٤ ، ١٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـــي ذلـــك المشـــهد المرهوب : { والملك عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِـــيَةٌ . يَوْمَـــئِذٍ تُعْرَضُـــونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ }(١) . . وفي التكشف الذي ترتج له وتستهوله المشاعر: { يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية }(٢) . .

فأمـــا هـــنا فـــي هـــذه السورة فالهول يتجلى في ملامح النفوس وسماتها وخوالجها وخطواتهـــا ، أكـــثر ممـــا يتجلى في مشاهد الكون وحركاته . حتى المشاهد الكونية يكاد الهول يكون فيها نفسيا

ومـــن ثم فقد تناولت سورة المعارج – فيما تناولت – تصوير النفس البشرية فـــي الضـــراء والســـراء ، في حالتي الإيمان والخواء من الإيمان . وكان هذا متناسقا مع طابعهـــا "النفســـي" الخاص : فجاء في صفة الإنسان { إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّـــرُّ جَـــزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً. إِلاَّ المُصَلِّين .الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ }(٣) .

واســـتطرد الســـياق فصور هنا صفات النفوس المؤمنة وسماتها الظاهرة والمضمرة تمشـــيا مـــع طبـــيعة الســـورة وأسلوبها: { إِلاَّ المُصَلِّين .الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ }(٤) .

إن الاتجـــاه الرئيسي في سورة المعارج هو تقرير حقيقة الآخرة وما فيها من جـــزاء ، وموازين هذا الجزاء . فحقيقة الآخرة هي الحقيقة الرئيسية فيها . ومن ثم كانت الحقـــائق الأخـــرى فـــي السورة كلها متصلة اتصالا مباشرا بحقيقة الآخرة فيها . من ذلك حديـــث الســـورة عـــن الفارق بين حساب الله في أيامه وحساب البشر ، وتقدير الله لليوم الآخر وتقدير البشر: { تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً . وَنَرَاهُ قَرِيباً }(٥)، وهو متعلق باليوم الآخر . ومنه ذلك الفارق بين النفس البشرية في الضراء والسراء في حالتي الإيمان والخلو من الإيمان. وهما مؤهلان للجزاء في يوم الجزاء .

---

(١) سورة الحاقة ، الآية (١٧) .
(٢) سورة الحاقة ، الآية (١٨) . وراجع كذلك في المعنى نفسه الآيات : (٢٥ ــ ٣٠) .
(٣) سورة المعارج ، الآيات (١٩ ــ ٢٥) .
(٤) سورة المعارج ، الآيات (٢٢ ــ ٢٨) .
(٥) سورة المعارج ، الآيات من (٤ ــ ٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومـــنه غرور الذين كفروا وطمعهم أن يدخلوا كلهم جنات نعيم ، مع هوانهم على الله وعجزهم عن سبقه والتفلت من عقابه . وهو متصل اتصالا وثيقا بمحور السورة الأصيل.

وهكـــذا تكـــاد السورة تقتصر على حقيقة الآخرة وهي الحقيقة الكبيرة التي تتصدى لإقـــرارها فـــي الـــنفوس . مـــع تنوع اللمسات والحقائق الأخرى المصاحبة ! للموضوع الأصـــيل " [1] ؛ إذ نجـــد السورة تدور حول مقاصدها الساسية ، فتتناول موضوعات من مثل : قرب وقوع يوم القيامة والهول في مشاهده حتي الآية الثامنة عشرة ، وتشير ــ في ذلك ــ إلي مسألة العروج ؛ في يوم : { كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } [2]

ثـــم تعـــرض لطبيعة النفس الإنسانية التي يهذبها الإسلام وصفات الصالحين حتى الآية الخامسة والثلاثين

ثـــم تعرض لأفعال الكفار ضد الرسول وتيئيسهم من الجنة والقدرة على البعث حتي نهايـــة الســـورة ، وبيـــن هـــذه الموضـــوعات الرئيسة بالسورة تتناول كثيرا من الأمور والمعاني .

المبحث الثاني : سبب نزول الآية ومعناها إجمالا :

ســـبب نزول الآية هو ما ذكرناه ([3]) فيما قاله النضر بن الحارث ، أو ما قيل في شـــأن الحارث بن النعمان الفهري([4])، أو أبي جهل ، أو جماعة من كفار قريش ، أو غير ذلك([5]) .

---

(١) في ظلال القرآن ، ١٥ / ٢١ ــ ٣٣ .
وراجع ــ كذلك ــ : أهداف كل سورة ومقاصدها ص ٦٤ ــ ٧٢ .

(٢) سورة المعارج ، من الآية (٤) .

(٣) من المعلوم أنه قد يكون سبب النزول واحدا لأكثر من آية .

(٤) نقـــل القرطبـــي ما قيل من أن " السائل هنا هو الحارث بن النعمان والفِهْرِيّ. وذلك أنه لما بلغه قول النبـــيّ صلى الله عليه وسلم في عليّ رضي الله عنه: «مَنْ كنتُ مَوْلاَه فعليٌّ مولاه» ركب ناقته فجاء حتى أنـــاخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد، أمرتنا عن الله نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأن نصـــلي خمســـا فقبلناه منك، ونزكي أموالنا فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه مـــنك، وأن نحُـــجّ فقبلناه منك، ثم لم ترض بهذا حتى فضّلْتَ ابن عمك علينا أفهذا شيء منك أم من الله؟ فقـــال النبـــيّ صلى الله عليه وسلم: «والله الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله» فولّى الحارث وهو يقول: اللهـــم إن كـــان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فوالله ما وصل إلى ناقـــته حـــتى رمـــاه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله؛ فنزلت : {سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} الآية . انظر : تفسير القرطبي ١٨ / ٢٧٨ .

(٥) قـــيل : هـــو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين. وقيل: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أي دعـــا علـــيه الســـلام بالعقاب وطلب أن يوقعه الله بالكفار؛ وهو واقع بهم لا محالة . انظر : السابق ، الصفحة نفسها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهـذه الآيـة الكـريمة استكمال لما كان من سؤال السائل عن ذلك العذاب الواقع بالكافريـن لامحالـة ؛ إذ ليس له دافع من الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، ذي العلو والدرجات والفواضـل والـنعم وذي معارج السماء أيضا كما ذكر المفسرون ؛ إذ { تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالـرُّوحُ }(١)؛ أي : " تصـعد الملائكـة والروح ــ وهو جبريل عليه السلام ــ " {إلـيه}؛ أي : إلـى الله جل وعز ، والهاء في قوله { إليه } عائدة على اسم الله تعالى { فِي يَـوْمٍ كَـانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }(٢)؛ فكأن المعنى : " **كان مقدار صعودهم ذلك في يـوم لغـيرهم من الخلق خمسين ألف سنة ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السـابعة إلـى منـتهى أمره من فوق السماوات السبع** " (٣) وهو أحد المعانى المحـتملة للآيـة كمـا سيتضح فيما بعد . ولقد علق أحد الكتاب الذين تعرضوا للجو العام للسـورة ؛ فقـال : إن " اليوم المشار إليه هنا هو يوم القيامة ، لأن السياق يكاد يعين هذا المعـنى . وفـي هذا اليوم تصعد الملائكة والروح إلى الله . والروح : الأرجح أنه جبريل عليه السلام ، كما سمي بهذا الاسم في مواضع أخرى . وإنما أفرد بالذكر بعد الملائكة لما لـه مـن شأن خاص . وعروج الملائكة والروح في هذا اليوم يفرد كذلك بالذكر ، إيحاء بأهميته في هذا اليوم وخصوصيته ، وهم يعرجون في شؤون هذا اليوم ومهامه

وأمـا { كَـانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }(٤) . فقد تكون كناية عن طول هذا اليوم كمـا هـو مـألوف في التعبير العربي . وقد تعني حقيقة معينة ، ويكون مقدار هذا اليوم خمسـين ألف سنة من سني أهل الأرض فعلا وهو يوم واحد ! وتصوُّر هذه الحقيقة قريب جـدا الآن . فإن يومنا الأرضي هو مقياس مستمد من دورة الأرض حول نفسها في أربع وعشـرين سـاعة . وهـناك نجوم دورتها حول نفسها تستغرق ما يعادل يومنا هذا آلاف المرات . .

---

(١) سورة المعارج ، من الآية (٤) .

(٢) سورة المعارج ، من الآية (٤) .

(٣) تفسير الطبري ٢٩ / ٦٩ .

(٤) سورة المعارج ، الآية (٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان يوم واحد من أيام الله يساوي خمسين ألف سنة ، فإن عذاب يوم القيامة قد يـرونه هـم بعيدا ، وهو عند الله قريب . ومن ثم يدعو الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الصبر الجميل على استعجالهم وتكذيبهم بذلك العذاب القريب .

المبحث الثالث : آراء العلماء في المقصود باليوم ومقداره في الآية الكريمة :

اختلف العلماء في ذلك على أربعة آراء ؛ هي :

الـرأي الأول : يـرى أصـحابه أن المعـنى : "**كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغـيرهم من الخلق خمسين ألف سنة**، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع " .

واستدلوا بأدلة([1]) ؛ منها :

ـ ما نقل عن مجاهد في{ يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } قال: منتهى أمره من أسـفل الأرضـين إلـى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة .

ـ مـا نقل عن مجاهد ؛ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة .

ـ مـا نقـل عن وهب والكلبي ومحمد بن إسحاق: أي عروج الملائكة إلى المكان الذي هو محلهم في وقت كان مقداره على غيرهم لو صَعِد خمسين ألف سنة ([2]) .

ـ مـا نقل عن وهب أيضاً : ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرة خمسين ألف سنة ([3]) .

ـ مـا نقـل عـن مجاهد. وقد جمع بين هذه الآية وبين قوله: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِـينَ أَلْـفَ سَنَةٍ} الآية الخامسة في سورة السجدة، فقال: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسون ألـف سنة. وقوله تعالى في: (الٓمٓ تنزيل): {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} يعني بذلك نزول

---

(١) تفسيرالطبري ٢٩ ، ٦٩ ، ٧٠ . وانظر ـ كذلك ـ : البحر المحيط ١٠ / ٢٧٢ / ٢٧٣ .

(٢) تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨١ .

(٣) تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨١ ، ٢٨٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمـــر مـــن سماء الدنيا إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ([1]) .

ولقـــد رجـــح السعدي ــ حديثا ــ هذا الرأي ؛ فذكر **مقدار العروج أو " المسافة التي تعرج فيها الملائكة والروح إلى الله، وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانهـــا علـــيه مـــن اللطافـــة والخفة، وسرعة السير مع أن تلك المسافة على السير المعـــتاد، مقـــدار خمسين ألف سنة**، من ابتداء العروج إلى بلوغها، ما حُدَّ لها، وما تنتهي إلـــيه من الملأ الأعلى فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه تقد تولى خلقـــه وتدبـــيره، العَلِـــيُّ الأعلى فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، ومستقرهم ومستودعهم، وأوصـــلهم مـــن رحمـــته وبره وإحسانه، ما عمهم وشملهم، وأجرى عليهم حكمه القدري وحكمـــه الشـــرعي، وحكمـــه الجزائي بُؤْساً لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاســـتعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم، وعافاهم ورزقهم ، هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة، فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل عليه " ([2]) .

الـــرأي الثاني : ويرى أصحابه أن المراد بذلك : **يوم القيامة ، والمعنى أن " مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسون ألف سنة "** ([3]) ، واستدلوا بأدلة ؛ منها :

ــ مـــا نقـــل عن علي وابن عباس ومعاوية وعكرمة وقتادة والضحاك من أنه : يوم القيامة .

ــ مـــا روي عـــن أبي الهيثم عن سعيد، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فِـــي يَـــوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ما أطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " وَالَّـــذِي نَفْســـي بِـــيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى المُؤْمِنِ حتى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ يُصَلِّيها فِي الدُّنْيا " ([4]) .

---

(١) تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨٢ .

(٢) تفسير السعدي ، سورة المعارج .

(٣) تفسير الطبري ٢٩ / ٦٩ .

(٤) تفسير الطبري ٢٩ / ٦٩ ، ٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ مـــا نقـــل عن محمد بن كعب في أن المعني : يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : وأنا أفرغ منه في ساعة .

ـ ومـــا قالـــه الحسن : **هو يوم القيامة، ولكن يوم القيامة لا نفاد له**. فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو في خمسين ألف سنة من سِني الدنيا، ثم حينئذ يستقر أهل الدارين في الداريـــن. وقال يَمَان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة . وقال ابن عباس : هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، ثم يدخلون النار للاستقرار.قلت: وهذا القول أحسن ما قيل في الآية إن شاء الله . وقد استدل القرطبي([1]) أبي سعيد السابق .

ـ وخـــرج الإمام أحمد ([2]) : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر الغداني قال: كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكـــثر عامري مالاً، فقال أبو هريرة، ردوه إلي فردوه فقال: نبئت أنك ذو مال كثير. فقال العامـــري: إي والله إن لـــي لمئة حمراً ومئة أدماً حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق وربـــاط الخـــيل، فقال أبو هريرة: إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم، يردد ذلك عليه حتى جعـــل لـــون العامري يتغير فقال: ما ذاك ياأبا هريرة ؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول: «من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها» قلنا: يارسول الله مـــا نجدتهـــا ورســـلها ؟ قال: «في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليـــه أولاها في **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكـــثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قـــرن بقرنها، ليس فيها عقصاء ولا عضباء، إذا جاوزته أخراها أعيدها عليه أولاها فـــي **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره

---

(١) تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨٣ .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد (مسند أبي هريرة) ، حديث رقم (١٠١٣٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله» فقال العامري: وما حق الإبل ياأبا هريرة ؟ قال: أن تعطي الكريمة وتمنح وتفقر الظهر وتسقي الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به .

كما ذكر الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون**، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ([1]) .

ـ ما روي من حديث معاذ : عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سَمّى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين». ذكره الماورديّ. وقيل: بل يكون الفراغ لنصف يوم، كقوله تعالى: {أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} . **وهذا على قدر فَهم الخلائق**، وإلا فلا يشغله شأن عن شأن. وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة، قال الله تعالى: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ}([2]) .

ـ ما قيل من أن ذكر خمسين ألف سنة تمثيل، وهو تعريف طول مدّة القيامة في الموقف، وما يلقى الناس فيه من الشدائد. والعرب تصف أيام الشدّة بالطول، وأيام الفرح بالقِصر ؛ قال الشاعر

ويوم كظِلّ الرُّمْح قَصَّرَ طولَه دَمُ الزِّق عنّا واصطفاق المزاهر

ـ و قيل كذلك : في الكلام تقديم وتأخير؛ والمعنى: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له من الله دافع، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٩ .

(٢) سورة لقمان ، من الآية (٢٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والــروح إليه . ولقد اختار القرطبي([1])ــ رحمه الله ــ هذا القول ؛ فقال : " وهذا القول هو معنى ما اخترناه " .

وقد اختار بعض العلماء المعاصرين هذا الرأي ([2]) .

الــرأي الثالــث : ويرى أصحابه أن المراد بذلك : " مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة " [3] .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة ؛ منها :

ــ ما نقل عن مجاهد وعكرمة في قوله { كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } : لايدري أحد كم مضى ، ولا كم بقي إلا الله ([4]) .

ــ مــا نقــل عن مجاهد ؛ قال : **الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوماً** { تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ} قال: اليوم الدنيا ([5]) .

ــ مــا نقــل ــ كذلك ــ عن عكرمة { فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} قال : الدنــيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل ([6]) .

الــرأي الــرابع : ويــرى أصــحابه أن المعنىً ــ هنا ــ **" اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة .**

واستدلوا عليه بعدة أدلة ([7]) ؛ منها :

---

(١) تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) أضواء البيان ٨ / ٤٥٧ .

(٣) تفسير الطبري ٢٩ / ٧٠ .

(٤) تفسير الطبري ٢٩ / ٧١ . تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨٤ .

(٥) ابن كثير ٤ / ٤١٩.

(٦) ابن كثير ٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٧) ابن كثير ٤ / ٤٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ مـــا نقل عن محمد بن كعب { فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}؛ قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة

ولقد وصف ابن كثير ـ رحمه الله ـ هذا القول بأنه " قول غريب جدا " .

هـــذه هـــي الآراء الأربعة في المسألة ، وتجدر الإشارة إلى أن ابن عباس ـ رضـــي الله عنهما ـ قد سأله رجل عن هذه الآية ؛ فقال : أيام سَمّاها الله عز وجل هو أعلـــم بهـــا كيف تكون، وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم . كما نقل أن رجلاً سأله ـ أي : ابـــن عـــباس أيضا ـ عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألـــف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم .

وهـــي رواية قريبة مما نقل عن ابن عباس ـ كذلك ـ من أن رجلا سأله " عـــن يوم مقداره ألف سنة، قال: فاتهمه، فقيل له فيه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألـــف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني، فقال: هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم " (١) .

---

(١) تفسير الطبري ٢٩ / ٧٠ ، ٧١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس : بيان وجه الإعجاز العلمي في النصوص المعجزة .

المبحث الأول : تحديد المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالنصوص المعجزة :

النقطة الأولي : تحديد مفهوم الزمن :

الـزاي والميم والنون(١) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على وَقتٍ من الوقت . من ذلك الزَّمان، وهـو الحِين، قليلُه وكثيرُه، يقال: زمانٌ وزَمَن، والجمع أزمانٌ وأزمنَة ؛ قال الشاعر في الزّمن :

وكنتُ امرأً زَمَناً بالعراَقِ عَفِيف المُناخِ طويلَ التَّغَنْ

وقال في الأزمان :

أزمانَ لَيْلَى عامَ لَيْلَى وَحَمِى

فالزَّمَـنُ(٢)ـ محـرَّكة ـ والـزَّمان ـ كـ : سحاب(٣) ـ **اسم لقلـيل الوقت وكثـيره** ، وفـي الـمُـحكم : الزَّمَنُ والزَّمان : العَصْرُ ، والـجمع : أَزْمُن وأَزْمان وأَزْمِـنة . وزَمَـنٌ زامِـن : شديد . **أَزْمَن الشيءُ طال علـيه الزَّمـان** (٤). والاسم من ذلك : الزَّمَنُ والزُّمْنَة؛ وعن ابن الأَعرابـي : أَزْمَنَ بالـمكان أَقام به زَماناً . وعامله مُزامـنة وزَمانا من الزَّمَن . وقال شمر : الدَّهْر والزَّمان واحد ؛ قال أَبو الهيثم أَخطأَ شمر

---

(١) معجـم مقايـيس اللغـة ، ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين ، ت : ٣٩٥ هـ) تحقـيق : عـبد السـلام هارون طبعة : دار الجيل ببيروت ، لبنان ، د :ت-. . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **مقاييس اللغة** انظر فيه : باب الزاي والميم وما يثلثهما

(٢) لسـان العرب ، ابن منظور (محمد بي مكرم .... الإفريقي المصري ، ت ٧١١ هـ) طبعة : دار صـادر ببـيروت ، لبـنان ، الطبعة الأولى ، د : ت (خمسة عشر مجلدا) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **لسان العرب** . باب الزاي .

(٣) القـاموس المحيط ، الفيروزابادي (محمد بن يعقوب ....، الشيرازي ، مجد الدين ، ت : ٨١٧هـ) نسـخة مصـورة عـن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ ، إصدار : الهيئة المصرية العامة للكـتاب سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧ م . (أربعة مجلدات) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **القاموس المحيط** . انظر فيه : فصل الزاي.

(٤) العيـن ، الخلـيل بـن أحمد الفراهيدي ، نسخة منشورة على شبكة المعلومات ، . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **العين** . انظر فيه باب الزاي والنون والميم معهما .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الـزَّمانُ زمانُ الرُّطَب ، والفاكهة زمانُ الـحرّ والبرد. قال : ويكون الزمانُ شهرين إلـى سـتة أشـهر . قال : والدَّهْرُ لا ينقطع ؛ قال أبو منصور : الدَّهْرُ عند العرب يقع علـى وقـت الـزمان مـن الأَزْمنة ، وعلـى مُدَّة الدنـيا كلها . قال : وسمعت غير واحد من العرب يقول : أَقمنا بموضع كذا وعلـى ماء كذا دهراً . و : إن هذا البلد لا يحملنا دهراً طويـلاً . والزمان يقع علـى الفَصْل من فصول السنة ، وعلـى مُدَّة ولاية الرجل ، وما أشـبه .... وفـي الـحديـث عـن النبـي صلّـى اللّه علـيه وسلّـم أنه قال لعَجوز تَـحَفَّـى بهـا فـي السـؤال وقـال : كانـت تأْتـينا أَزْمانَ خديجة ؛ أَراد حياتها . واستأْجرته مُزامنة وزَماناً ؛ عنه أَيضاً كما يقال مُشاهرة من الشهر ، وما لقـيته مُذ زَمَنةٍ أي زَمـان ، والزَّمَنة : البُرْهة ، وأَقام زَمْنَة ــ بفتـح الزاي ــ ؛ عن اللـحيانـي ؛ أَي : زَمَـناً ، ولقـيته ذاتَ الزُّمَيْن أي فـي ساعة لها أَعداد يريد بذلك تَراخي الوقت كما يقال لقـيـته ذاتَ العُوَيْـم أَي بـين الأَعوام . ويقولون: لقيتُه ذات الزُّمَيْن ؛ يُراد بذلك تَراخِي المُـدّة . و : وأَزْمَنَ : أَتَى ــ أو طال ــ عليه الزَّمانُ . و : فـي الـحديث : إِذا تَقارب الـزمانُ لـم تَكَـدْ رؤيـا الـمؤْمن تكذب؛ قال ابن الأَثـير أَراد استواء اللـيل والنهار واعـتدالهما ، وقـيل : أَراد قُرْبَ انتهاء أَمَدِ الدنـي .وزَمَنٌ عَضُوض : أَي كَلِبٌ ([1]). وزمنُ الفِطَحْل([2])ــ فطحل : الفِطَحْل ، علـى وزن الهِزَبْر : زمن نوح النبـي، علـى نبـيـنا وعلـيه الصلاة والسلام أو : دهر لـم يخـلَق الناس فـيه بَعْدُ ؛ وسئل رؤبة عن قولـه زمن الفِطَحْل فقال: أَيام كانت الـحجارة فـيه رطاباً، روى أَن رؤبةبن العجاج نز لمـاء من الـمياه فأَراد أَن يتزوَّج امرأَة فقالت له الـمرأَة: ما سِنُّك ما مالُك ما كذا؟ فأَنشأَ يقول :

لَـمَّا ازْدَرَتْ نَقْدِي وقلَّت إِبلـي
تـأَلَّـقَـتْ، واتَّـصَلَتْ بِعُكْـل
تَسْأَلنـي عـن السِّنـين كَمْ لِـي
فقلت: لو عَمَّرْتُ عمرَ الـحِسْـل

---

(١) لسان العرب، باب العين .

(٢) لسان العرب ، باب الفاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو عُمْرَ نــوح زمنَ الفِــطَــحْــل
والصَّخْــر مُبْتَــلٌّ كطِين الــوَحْــل

وقال بعضهم:

زَمَنَ الفِطَحْل إذ السَّلام رِطاب

وقــال أَبــو حنـــيفة : يقال أَتــيتك عام الفِطَحْل والهِدَمْلة، يعنــي زَمَن الــخِصْب والرِّيف(١) .

النقطة الثانية : تحديد مفهوم السنة :

السَّــنَةُ : العــامُ (٢) والجمــع : سِــنُونَ وسَنَهاتٌ وسَنَواتٌ ، والقَحْطُ ، أو العام المقحــط(٣)، ويقال : أصابَ أرضَ بني فلانَ سَنَةٌ: إذا كانت مُجْدِبةً (٤) . فهي المُجْدِبَةُ مــن الأَرَاضِــي، ووَقَعُــوا في السُّنَيَّاتِ البِيضِ : وهي سَنَواتٌ اشْتَدَدْنَ على أهل المدينة. وســانَهَهُ مُسَــانَهَةً وسِــنَاهَاً وساناهُ مساناةً: عامَلَهُ بالسَّنَةِ ، وسنهت النَّخْلَةُ: حَمَلَتْ سَنَةً بعدَ سَنَةٍ، وهي: سَنْهَاء.

ويقــال : رجــلٌ (٥) سَــنِتٌ قلــيل الــخَير ، وقال ابن سيده : رجلٌ سَنِتُ الــخَــيرِ: قلــيلُه والــجمع سَنِتُونَ ولا يُكَسَّر . و أَسْنَتَ القوم أي أصابَتْهم سَنَةٌ شديدةٌ من القَحْط(٦) ، قال:

---

(١) وانظــر كذلــك ــ : الصِــحاح ، الجوهري ، نسخة منشورة على شبكة المعلومات ، . وسيُشار إلى هــذا المــرجع عــند وروده بعد ذلك هكذا : **الصحاح** . انظر فيه : ، باب النون . و : مختار الصحاح ، الــرازي (محمــد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت : ٧٢١هــ) ، تحقيق : محمود خاطر ، طبعة : لبنان ناشــرون ببــيروت ، لبــنان ، طبعة جديدة سنة ١٤١٥ هــ = ١٩٩٥ م . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **مختار الصحاح** ، باب الزاي .

(٢) القاموس المحيط ، فصل السين ، باب الهاء .

(٣) العين ، باب السين والنون .

(٤) المــنجد ، نســخة منشــورة على شبكة المعلومات ، . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **المنجد** . انظر فيه : باب الأرض وما عليها .

(٥) لسان العرب ، باب السين .

(٦) العين ، باب السين والتاء والنون .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورجالُ مكّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ

وأَسْنَتُوا فهم مُسْنِتُون أَصابَتْهم سَنَاً وقَحْطٌ وأَجْدَبُوا ؛ ومنه قول ابن الزِّبَعْرَى :

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّريدَ لِقَوْمِه ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ

وهي عند سيبويه على بدل التاء من الياء ولا نظير له إلا قولهم ثِنْتانِ ؛ حكى ذلك أَبو عليّ ، وفي الصحاح أَصله من السَّنَةِ ؛ قَلَبُوا الواو تاء لِيَفْرُقُوا بينه وبين قولهم أَسْنى القومُ إِذا أَقاموا سَنَةً في موضع ؛ وقال الفراء : تَوَهَّمُوا أَن الهاء أَصلية إِذ وَجَدُوها ثالثةً فقلبوها تاء تقول منه : أَصابَهم السَّنة بالتاء وفي الحديث : " وكان القومُ مُسْنِتِين أَي مُجْدِبِينَ أَصابَتْهم السنَةُ وهي القَحْطُ والجَدْبُ و : أَسْنَتَ فهو مُسْنِتٌ إِذا أَجْدَبَ . وفي حديث أَبي تَمِيمَة : " اللَّهُ الذي إِذا أَسْنَتَّ أَنْبَتَ لك أَي إِذا أَجْدَبْتَ أَخْصَبَكَ . ويقال : تَسَنَّتَ فلانٌ كريمةَ آلِ فلانٍ إِذا تَزَوَّجَها في سَنَة القَحْط . وفي الصحاح : يقال تَسَنَّتَها إِذا تَزَوَّجَ رجلٌ لَئِيمُ امرأَة كريمةً لقلة مالها وكثرة ماله . و: السَّنة ــ مطلقةً ــ : السنةُ المُجْدِبةُ أَوْقَعُوا ذلك عليها إِكباراً لها وتشنيعاً واستطالة ؛ يقال : أَصابتهم السنة والجمع من كل ذلك سَنَهاتٌ وسِنُون كسروا السين ليعلم بذلك أَنه قد أُخرج عن بابه إِلى الجمع بالواو والنون وقد قالوا سِنِيناً وأَنشد الفارسي :

دَعانِيَ من نَجْدٍ فإِنَّ سِنِينَه لَعِبْنَ بنا شِيباً وشَيَّبْنَنا مُرْدَا

وبعض العرب يقول هذه سِنِينٌ كما تَرَى ورأَيت سِنِيناً فيعرب النون وبعضهم يجعلها نون الجمع فيقول هذه سِنُونَ ورأَيت سِنِينَ ، وقوله عز وجل { ولقد أَخذنا آلَ فرعونَ بالسّنين } ؛ أَي بالقُحُوط . والسَّنَةُ الأَزْمة وأَصل السَّنَة سَنْهة بوزن جَبْهة فحذفت لامها ونقلت حركتها إِلى النون فبقيت سَنَةً لأَنها من سَنَهَت النخلةُ تَسَنَّهَتْ إِذا أَتى عليها السِّنُونَ . قال الجوهري : تَسَنَّهَتْ إِذا أَتى عليها السِّنُونَ قال ابن الأَثير : وقيل : إِن أَصلها سَنَوَةٌ بالواو فحذفت كما حذفت الهاء لقولهم تَسَنَّيْتُ عنده إِذا أَقمت عنده سَنَةً ؛ ولهذا يقال على الوجهين استأْجرته مُسانَهة مُساناةً وتصغيره سُنَيْهَة وسُنَيَّة وتُجْمَعُ سَنَواتٍ وسَنَهاتٍ فإِذا جمعتها جمع الصحة كسرت السين فقلت سِنِينَ وسِنُونَ ، وبعضهم يضمها ويقول سُنُونَ بالضم ، ومنهم من يقول سِنِينٌ على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل حال في النصب والرفع والجر ويجعل الإعراب على النون الأخيرة فإذا أضفتها على الأول حذفت نون الجمع للإضافة وعلى الثاني لا تحذفها فتقول سِنِي زيد سِنِينَ زيد ؛ الجوهري . وأما من قال سِنِينٌ ومِئِينٌ ورفع النون ففي تقديره قولان؛ أحدهما : أنه فِعْلِينٌ مثل غِسْلِينٍ محذوفةً إلا أنه جمع شاذ ؛ **قال الأخفش : إنه بدل من ثلاث ومن المئة أي : لبثوا ثلاثمائة من السِّنِينَ ، قال فإن كانت السِّنُون تفسيراً للمئة فهي جرٌّ ، وإن كانت تفسيراً للثلاث فهي نَصْبٌ** ، والعربُ تقول تَسَنَّيْتُ عنده وتَسَنَّهْتُ عنده ، ويقال هذه بِلادٌ سِنِينٌ أي جَدْبةٌ؛ قال الطرماح :

بمُنْخَرَقٍ تَحِنُّ الرِّيحُ فيهِ حَنِينَ الجُلْبِ في البَلَدِ السِّنِينِ

وقال الأصمعي : أَرضُ بني فلان سَنَةٌ إذا كانت مُجْدِبةً ، وقال أبو منصور وبُعِثَ رائدٌ إلى بلد فوجده مُمْحِلاً فلما رجع سُئِلَ عنه فقال : السَّنَةُ ؛ أَراد: الجُدُوبة . وفي الحديث : " اللهم أَعِنِّي على مُضَر بالسَّنة " ؛ والسَّنَةُ : الجَدْبُ ؛ يقال : أَخذتهم السنةُ إذا أَجْدبوا وأُقْحِطُوا ، وهي من الأَسماء الغالبة نحو الدابة في الفرس والمال في الإِبل وقد خصوها بقلب لامها تاء في أَسْنَتُوا إذا أَجْدبوا ، وفي حديث عمر ــ رضي اللَّه عنه ــ أَنه كان لا يُجيز نكاحاً عامَ سَنَةٍ ؛ أَي: عامَ جَدْبٍ ؛ يقول لعل الضيق يحملهم على أَن يُنْكِحُوا غيرَ الأَكْفاء ، وكذلك حديثه الآخر: كان لا يَقْطَعُ في عام سنةٍ ؛ يعني : السارقَ . وفي حديث طَهْفَة : فأَصابتنا سُنَيَّةٌ حمراءُ ؛ أَي : جَدْبٌ شديد وهو تصغير تعظيم . وفي حديث الدعاء على قريش : " أَعِنِّي عليهم بسِنِينَ كسِنِي يوسفَ ؛ هي التي ذَكَرها اللَّهُ في كتابه{ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ } (٤٨) يوسف ؛ أَي : سبع سنين فيها قَحْطٌ وجَدْبٌ . والمُعاملة من وقتها : مُسانَهةٌ ؛ سانَهه مُسانَهةً سِناهاً؛ الأَخيرة عن اللحياني عامَلَه بالسَّنة أَو استأْجره لها ، وسَانَهتِ النخلةُ وهي سَنْهاءُ حملت سنةً ولم تحمل أُخرى؛ السَّنَة : واحدة السِّنين . وقال الجوهري في الصحاح(١) : "وفي نقصانها قولان: أحدهما الواو وأصلها سَنْوَةٌ؛ والآخر الهاء وأصلها سَنْهَة ، مثل جَبْهَة،

---

(١) باب الهاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنّهـــا من سَنَهَت النخلةُ وتَسَنَّهَت ، إذا أتت عليها السِّنُون . ونخلةٌ سَنْهَاء ، أي تحمل سَنَة ولا تحمل أخرى؛ وقال بعض الأنصار: (الطويل)

فليست بسَنْهَاءَ ولا رُجَّبِيَّةٍ ولكنْ عَرَايَا في السنينَ الجَوَائِحِ

وفـــيه قول آخر: أنّها التي أصابتها السَنَة المجدِبة، قالَهُ أبو عبيد؛ وقال أيضًا: يقال: أرضُ بني فلانٍ سَنَة ، إذا كانت مجدِبة.

والعـــرب تقـــول: تَسَنَّيْتُ عنده، وتَسَنَّهْت عنده، واستأجرته مُسَانَاةً ومُسَانَهَة ، وفي التصغير: سُنَيَّةٌ وسُنَيْهَةٌ.

وإذا جمعـــتَ بـــالواو والـــنون كسرتَ السين فقلتَ: سِنُون ، وبعضهم يقول: سُنُون بالضـــم. وأمـــا من قال: سنـــين ومئِينٌ ورفع النون ففي تقديره قولان: أحدهما أنه فِعْلِينٌ، مـــثل غِسْـــلِينٍ محذوفةً إلاَّ أنَّه جمعٌ شاذٌّ، وقد يجيء في الجموع ما لا نظير له نحو عِدًى، وهـــذا قـــول الأخفـــش؛ والقول الثاني أنه فَعِيلٌ وإنما كسروا الفاء لكسرة ما بعدها، إلاّ أن صاحب هذا القول يجعل النون في آخره بدلًا من الواو، وفي المئة بدلًا من الياء.

وقولـــه تعـــالى: { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً } (٢٥) الكهف . قـــال الأخفـــش : إنَّه بدلٌ من ثلاثٍ ومن المئة، أي لبثوا ثلاثمائةٍ من السنـــين ؛ قال: فإن كانـــت الســـنون تفســـيرًا للمئة فهي جرٌّ، وإن كانت تفسيرًا للثلاث فهي نصبٌ. والتَسَنُّه : الـــتَكَرُّجُ الـــذي يقع على الخبز والشَراب وغيرهما، تقول: خبزٌ مُتَسَنِّه " . فأما قول بعض الأنصار هوَ سُوَيْد بن الصامت :

فَلَـــيْسَتْ بسَنهاء ولا رُجَّبِـــيَّةٍ ولكنْ عَرايا فـــي السِّنـــينِ الـــجَوائِحِ

لـــــم يَتَسَـــنَّ ، وقـــال : سانَـــيته مُساناة ،وإثبات الهاء أصوب . **وقال الفراء في قوله تعالى {لم يتسنه} ؛ لم يتغير بمرور السنين عليه مأخوذ من السنة وتكون الهاء أصلية من قولك بعته مُسانهة** تثبت وصلاً ووقفاً ومن وصله بغير هاء جعلـــه مـــن الـــمُساناة لأَن لام سنة تعتقب علـــيها الهاء والواو وتكون زائدة صلة بمنزلة قولـــه تعالـــى {فبِهُداهم اقْتَدِهْ}؛ فمن جعل الهاء زائدة جعل فعلت منه تسنـــيت ألا ترى أنك تـــجمع السنة سنوات فـــيكون تفعلت علـــى صحة؟ ومن قال فـــي تصغير السنة سُنَـــينة وإن كـــان ذلك قلـــيلاً جاز أن يقول تَسَنَّـــيْتُ تَفَعَّلْتُ أُبدلت النون ياء لـــما كثرت النونات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كمـا قالوا تَظَنَّـيْتُ وأَصله الظَّنُّ وقد قالوا هو مأْخوذ من قوله عز وجل من حَمَإٍ مَسْنُون؛ يـريد متغـيراً فإن يكن كذلك فهو أَيضاً مـما بُدِّلَتْ نونه ياء ونُرَى واللَّه أَعلـم أَن معناه مأْخوذ من السَّنَة أَي لـم تغيره السِّنُون وروى الأَزهري عن أَبـي العباس أَحمد بن يحيى فـي قوله (عز وجل) { {لَمْ يَتَسَنَّهْ } (٢٥٩) البقرة . قال قرأَها أَبو جعفر وشَيْبة ونافعٌ وعاصـم بإِثـبات الهاء إِن وصلوا أَو قطعوا . وكذلك قوله (عز وجل) { فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ } (٩٠) الأَنعـام . ووافقهـم أَبـو عمرو فـي: { لَمْ يَتَسَنَّهْ } (٢٥٩) البقرة وخالفهم فـي اقْـتَدَهْ فكـان يحـذف الهاء منه فـي الوصل ويثبتها فـي الوقف . وكان الكسائي يحذف الهـاء مـنهما فـي الوصل ويثبتها فـي الوقف ؛ قال أَبو منصور وأَجود ما قـيل فـي تصغير السَّنَة سُنَـيْهة علـى أَن الأَصل سَنْهَةٌ كما قالوا : الشَّفَةُ أَصلها شَفْهَة فحذفت الهاء، قـال : ونقصوا الهاء من السنة كما نقصوها من الشفة ؛ لأَن الهاء ضاهت حروف اللـين التـي تنقص من الواو والـياء والأَلف مثل زِنَةٍ وثُبَةٍ وعِزَةٍ وعِضَةٍ والوجه فـي القراءة لـم يَتَسَنَّهْ بإِثبات الهاء .

وجـاء في اللسان(١) أيضا : <u>السَّنَةُ : واحدةُ السِّنـين . قال ابن سيده : السَّنَة : العـامُ منقوصـة</u> ؛ والذاهب منها يجوز أَن يكون هاء وواواً بدلـيل قولهم فـي جمعها : سَـنَهات و سَـنَوات كما أَن عِضَةً كذلك ؛ بدلـيل قولهم عِضاهُ وَعِضَواتٌ ؛ قال ابن بري الدلـيل علـى أَن لام سنة واو قولهم سَنَواتٌ؛ قال ابنُ الرِّقاعِ

عُتِّقَتْ فـي القِلالِ من بَـيْتِ رأْسٍ سَنَواتٍ وما سَبَتْها التِّـجارُ

النقطة الثالثة : تحديد مفهوم اليوم :

<u>الـيَوْم (٢): معروف(٣) مقدارُه من طلوع الشمس إِلـى غروبها</u>، والـجمع أَيام ، لا يكسَّـر إِلا علـى ذلـك، وأَصله : أَيْوام فأُدْغم ، ولـم يستعملوا فـيه جمعَ الكثرة. وقولـه عـز وجـل: {وذكِّرْهم بأَيامِ الله } ؛ الـمعنى : ذكِّرْهم بِنِعَمِ الله التـي أَنْعَمَ فـيها علـيهم وبِنِقَمِ الله التـي انْتَقَم فـيها من نوحٍ وعادٍ وثمودَ .

---

(١) باب السين .

(٢) لسان العرب / باب الياء .

(٣) العين ، باب اللفيف من الميم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقـــال الفراء : معناه : خَوِّفْهم بما نزلَ بعادٍ وثمود وغيرِهم من العذاب وبالعفو عن آخرين ، وهو فـــي الـــمعنى كقولك : خُذْهُم بالشدّة واللِّـــين . وقال مـــجاهد فـــي قوله: {لا يَرْجُونَ أَيَّام الله} ؛ قال : نِعَمَه .

وروي عن أُبـــيّ بن كعب عن النبـــي صلى الله عليه وسلم فـــي قوله : {وذكِّرْهم بأيّام الله } ، قال: أَيامُه نِعَمُه ؛ وقال شمر فـــي قولهم :

يَومَاهُ: يومُ نَدىً، ويومُ طِعانِ

ويَوْماه : يوم نُعْمٍ ويومُ بُؤْسٍ .

فالـــيوم ههنا بمعنى الدَّهْر ؛ أَي : هو دَهْرَه كذلك . والأَيّام فـــي أَصلِ البِناء أَيْـــوام ، ولكـــن العرب إِذا وَجَدُوا فـــي كلـــمة ياءً وواواً فـــي موضع، والأُولـــى منهما ســـاكنةٌ، أَدْغَمـــوا إِحداهمـــا فـــي الأُخرى وجعلوا الـــياء هي الغالبةَ، كانت قبلَ الواو أَو بعدَهـــا، إِلاَّ فـــي كلـــماتٍ شَواذَّ تُرْوَى مثل الفُتُوَة والهُوَة. وقال ابن كيسان وسُئل عن أَيّام: لِـــمَ ذهبَت الواوُ ؟ فأَجاب : أَن كلّ ياءٍ وواوٍ سبق أَحدهما الآخر بسكون فإِن الواو تصير يـــاء فـــي ذلـــك الـــموضع ، وتُدْغَم إِحداهما فـــي الأُخرى ؛ من ذلك : أَيّام ؛ أَصلها : أَيْـــوام، ومثلُها : سيِّدٌ ومَيِّت، الأَصلُ سَيْوِدٌ ومَيْوِت، فأَكثرُ الكلام علـــى هذا إِلاَّ حرفـــين : صَـــيْوب وحَـــيْوة، ولو أَعلُّوهما لقالوا صَيِّب وحيّة، وأَما الواوُ إِذا سبقت فقولُك لَوَيْتُه لَـــيّاً وشَوَيْتُه شَيّاً، والأَصل شَوْياً ولَوْياً.

وســـئل أَبـــو العـــباس أَحمد بن يحيى عن معنى { الـــيومَ أَكملتُ لكم دِينَكم} أَي : فَرَضْـــتُ ما تـــحتاجون إِلـــيه فـــي دينكم ، وذلك حسَنٌ جائز، فأَما أَن يكونَ دِينُ الله فـــي وقتٍ من الأَوقات غيرَ كامل فلا.

وقالوا : الـــيومُ يومُك ، يريدون التشنـــيعَ وتعظيم الأَمر .

وفـــي حديـــث عمر ، رضي الله عنه : السائبة والصدَقةُ لـــيَوْمِهما ؛ أَي : لـــيوم القـــيامة ، يعنـــي يُراد بهما ثوابُ ذلك الـــيوم .

وفـــي حديـــث عبدالـــمَلِك : قال للـــحجاج : سِرْ إِلـــى العِراق غِرارَ النوم طويل الـــيوم ؛ يقال ذلك لِـــمَنْ جَدَّ فـــي عَمَلِه يومَه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد يُرادُ باليوم : الوقتُ مطلقاً ؛ ومنه الحديث : تلك أيّام الهَرْج ؛ أي : وقتُه، ولا يختص بالنهارِ دون الليل.

واليومُ الأَيْوَم : آخرُ يوم في الشهر ([1]) . ويومٌ أَيْوَمُ ويَوِمٌ ووَوِم ؛ الأَخيرة نادرة لأن القياس لا يوجبُ قلب الياءِ واواً، كلُّه : طويلٌ شديدٌ هائلٌ.

ويوم ذو أياوِيم كذلك ؛ وقوله:

مَرْوانُ يا مَرْوانُ لليومِ اليَمِي

ورواه ابن جني :

مروان مروان أَخُو اليوم اليَمِي

وقال: أَراد أَخو اليوم السهْلِ اليومُ الصعبُ، فقال: يومٌ أَيْوَمُ ويَوم كأَشْعَث وشَعِث، فقُلب فصار يَمِو ، فانقلبت العينُ لانكسار ما قبلها طرَفاً

ووجهٌ آخر : أَنه أَراد أَخو اليَوْمِ اليَوْم كما يقال عند الشدة والأَمرِ العظيم اليومُ اليوم ، فقُلب فصار اليَمْو ثم نقلَه من فَعْل إِلى فَعِل

كما أَنشده أَبو زيد من قوله:

عَلامَ قَتْلُ مُسْلِمٍ تَعَبَّدا مُذْ خَمْسة وخَمسون عَدَدا

يريد : خَمْسون، فلما انكسرَ ما قبل الواو قلبت ياءً فصار اليَمِي ؛ قال ابن جني: ويجوز فيه عندي وجه ثالث لم يُقَلْ به، وهو أَن يكون أَصله على ما قيل في المذهب الثاني أَخُو اليَوْمِ اليَوْم ثم قلب فصار اليَمْوُ، ثم نقلت الضمّةُ إِلى الميم على حد قولك هذا بَكُر .

إِنَّ مع اليَوْمِ أَخاه غَدْوَا

فاليَمِي ، على القول الأَول، نعتٌ، وعلى القول الثاني اسمٌ مرفوع بالابتداء، وكلاهما مقلوب

وربما عبروا عن الشدة([2])بـ : اليَوْمِ ، يقال يومٌ أَيْوَم ، كما يقال لَيْلة لِيلاءُ ؛ قال أَبو الأَخزر الحمّاني:

---

(١) القاموس المحيط ، فصل الياء .

(٢) الصحاح للجوهري ، باب الميم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نِعْمَ أخو الهَيْجاء فـــي الـــيوم الـــيَمِي

لـــيَـــوْمِ رَوْعٍ أو فَـــعـــالِ مُـــكـــرَمِ

هـــو مقلوب منه، أَخّر الواوَ وقدَّمَ الـــميمَ، ثم قلبت الواوُ ياءً حيث صارت طرَفاً كما قالوا أَدْلٍ فـــي جمع دَلْوٍ.

والـــيَوْم : الكـــوْنُ ([1]) . يقال: نِعْمَ الأَخُ فلانٌ فـــي الـــيوم إذا نزلَ بنا أي فـــي الكائنة من الكوْنِ إذا حدَثتْ؛ وأنشد :

نعم أَخو الهيجاء فـــي الـــيوم الـــيمي

قـــال: أَراد أَن يشـــتقَّ من الاسم نعتاً فكان حدُّه أَن يقول فـــي الـــيَوْم الـــيَوْم فقلَبه، كما قالوا : القِسيّ والأَيْنُق

وتقـــول العـــرب للـــيومِ الشديدِ : يومٌ ذو أَيَامٍ ويومٌ ذو أَيايِـــيم ، لطولِ شرِّه علـــى أَهله.

وقـــال الأَخفـــش فـــي قوله تعالـــى :{ أُسِّسَ علـــى التَّقْوَى من أَوَّلِ يومٍ } ([2]) ؛ أي : من أَوَّل الأَيّام ([3])، كما تقول لَقِـــيتُ كلَّ رجلٍ تُريد كلَّ الرجال .

وياوَمْـــت الـــرجلَ مُياومَةً ويواما ؛ أي : عاملتُه أَو استأْجَرْته الـــيومَ ؛ الأَخيرة عن اللـــحيانـــي،وعاملـــتُه مُياوَمة : كما تقول مُشاهرةً، ولقـــيتهُ يومَ يوم ؛ حكاه سيبويه وقال: من العرب من يَبْنِـــيه، ومنهم من يُضيفُه إلا فـــي حدّ الـــحال أَو الظرف.

وقـــال ابن السكيت : **العرب تقول الأَيّام فـــي معنى الوقائع** ، يقال: هو عالـــمٌ بأَيّام العرب، يريد وقائعَها ؛ وأنشد :

وقائعُ فـــي مُضَرٍ تِسْعَةٌ ... وفـــي وائلٍ كانت العاشِرهْ

فقـــال: تِسْـــعة ، وكان ينبغي أَن يقول : تِسْع لأَن الوَقـــيعة أُنثى، ولكنه ذهب إِلـــى الأَيّـــام . وقـــال شمر: **جاءت الأَيّام بمعنى الوقائع والنِّعم . وقال: إِنما خصُّوا الأَيّام دون ذلك**

---

(١) العين ، باب اللفيف من الميم .

(٢) سورة التوبة ، من الآية (١٠٨) .

(٣) مختار الصحاح ، باب الياء ي و م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شَرَّ يَوْمَيْها وأَغْواه لها رَكِبَتْ عَنْزُ بِجِذْعٍ جَمَلا

أراد : شـرَّ أيّـام دَهْـرِها، كأنه قال : شَرّ يَوْمَيْ دَهْرِها الشَّرَّيْنِ، وهذا كما يقال إن في الشَّرِّ خياراً، **ويوم التَّغابُن** (١): يوم البعث، من ذلك، وقيل: سمّي بذلك لأن أهل الجنة يَغْبِنُ فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم ويَلْقَى فيه أهلُ النار من عذاب الجحيم . ويَغْبِنُ من ارتفعت منزلتُه في الجنة مَنْ كان دونَ منزلته، وضرب الله ذلك مثلاً للشراء والبيع كما قال تعالى: {هل أَدُلُّكم على تجارة تُنْجيكم من عذاب أَليم} وسئل الحسن عن قوله تعالى: {ذلك يومُ التَّغابُنِ}، فقال: غَبَن أهلُ الجنة أهلَ النار ؛ أي : اسْتَنْقَصُوا عقولَهم باختيارهم الكفر على الإيمان . **ويَوْمُ التَّناد**(٢): يَوْمُ القيامةِ لما فيه من الانزعاج إلى الحشر، وفي التنزيل: {يومَ التنادِ يومَ تُوَلُّون مُدْبِرين} .**ويوم التهارُق**(٣): يوم المَهْرَجان، وقد تَهارقُوا فيه أي أَهْرَق الماءَ بعضُهم على بعضٍ، يعني بالمَهْرَجانِ الذي نسميه نحن النَّوْرُوز . والمُهْرُقَان : البحر لأنه يُهَرِيق ماءَه على الساحل . **ويوم حَلِيمة** (٤) : يوم معروف أحد أيام العرب المشهورة، وهو يوم التقى المُنْذرُ الأكبر والحارثُ الأكبر الغسّاني، والعرب تضْرِبُ به المثل في كل أمر مُتَعالَمٍ مشهور فتقول : ما يَوْمُ حَلِيمةَ بِسِرَ، وقد يضرب مثلاً للرجل النابه الذِّكْرِ، ورواه ابن الأعرابي وحده: ما يوم حَلِيمةَ بشَرَ، قال : والأول هو المشهور؛ قال النابغة يصف السيوف:

تُوُرِّثْنَ من أزمان يومِ حَلِيمةٍ إلى اليوم، قد جُرِّبْنَ كلُّ التَّجارِبِ

ويومَ حُنَيْن ــ وحُنَيْن : اسمُ وادٍ بين مكة والطائف. قال الأزهري: حُنَينٌ اسمُ وادٍ به كانت وَقْعَةُ أَوْطاسٍ، ــ : يقول تعالى { إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم؛ قال الجوهري: حُنَيْنٌ موضع يذكر ويؤنث، فإذا قَصَدْتَ به الموضع والبلَد ذكَّرْتَه وصَرَفْتَه كقوله تعالى: {ويومَ حُنَيْن } ، وإن قصدْتَ به البلدةَ والبُقْعةَ أَنَّثْتَه ولم تصرفه كما قال

---

(١) لسان العرب / باب الغين .

(٢) لسان العرب ، باب النون .

(٣) لسان العرب / باب الهاء .

(٤) لسان العرب / باب الحاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسَّان بن ثابت :

نَصَرُوا نَبِـيَّهُم وشَدُّوا أَزْرَه بحُنَـيْنَ، يومَ تَواكُلِ الأَبْطالِ

يَـوْمُ الـخُـروج ([1]) ، يـوم يخرج الناس في الأَجداث . قال تعالى : { ذلك يوم الخروج }

وقال أَبو عبـيدة: يومُ الـخُروج من أَسماء يوم القـيامة؛ واستشهد بقول العجاج:

أَلَـيْسَ يَوْمٌ سُمِّيَ الـخُرُوجا أَعْظَمَ يَوْمٍ رَجَّةً رَجُوجا ؟

وقال أَبو إِسحق فـي قوله تعالـى: {يوم الـخروج}؛ أَي : يوم يبعثون فـيخرجون من الأَرض

ويـوم الـدَّرَك ([2]) : يوم معروف من أَيامهم . ويوم دَيْسَقَة : يوم من أَيام العرب مشهور وكأَنه اسم موضع ؛ قال الـجعدي:

نـحنُ الفَوارِسُ، يومَ دَيْسَقَةَ الـ ـمُغْشُو الكُماةِ غَوارِبَ الأَكَمِ

ويـوم الديـن : قال تعالى :{مالك يوم الدِّين } ؛ وقـيل: معناه مالك يوم الـجزاء . وقوله تعالـى: {ذلـك الدِّين القَـيِّمُ } ؛ أَي ذلك الـحسابُ الصحيح والعدد الـمستوي.

والدِّين : الطاعة. وقد دِنْته ودِنْت له أَطعته؛ قال عمروبن كلثوم :

وأَياماً لنا غُرّاً كِراماً عَصَيْنا الـمَلْكَ فـيها أَن نَدِينَا

ويروى:

وأَيامٍ لنا ولهم طِوالِ

يـومُ السَّباسِـبِ ([3]) : فـي الـحديث : " إِن اللَّه تعالـى أَبْدَلَكُمْ بـيومِ السَّباسِبِ يومَ العيدِ " .ويومُ السَّباسِبِ عيدٌ للنصارَى ويسمُّونَه يومَ السَّعانِـينِ ويقال : **يوم سَعْد ويوم نـحس** . وحكـى ابـن جنـي : يومٌ سَعْد ولـيلةٌ سعدة **ويوم الظلة** ([4]) : يقال : يقال أَظَـل يومـنا هذا إِذا كان ذا سحاب أَو غيره وصار ذا ظِل ، وفـي الـحديث: أَنَّ فـي

---

(١) لسان العرب / باب الخاء .

(٢) لسان العرب / باب الدال .

(٣) لسان العرب / باب السين .

(٤) لسان العرب / باب الظاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنة شَجَرَةً يَسير الراكبُ في ظِلِّها مئة عامٍ أَي في ذَراها وناحيتها. وفي التنزيل العزيز: {فأَخَذَهُم عذابُ يَوْمِ الظُّلَّة} ؛ والجمع ظُلَل وظِلال . والظُّلَّة؛ ما سَتَرَك من فوق، وقيل : في عذاب يوم الظُّلَّة، قيل: يوم الصُّفَّة الجوهري: عذابُ يوم الظُّلَّة قالوا غَيْمٌ تحته سَمُومٌ .**ويوم فِحْل** (١) ، وفيه ذكر فَحْلين ، على التثنية، موضع في جبل أُحُد. **ويوم الفصل** : يقول عزوجل: {هذا يوم الفَصْل } ؛ أَي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازى كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم ويوم الفَصْل : هو يوم القيامة، قال الله عزوجل: {وما أَدراك ما يومُ الفَصْل}.

يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلومِ (٢) ؛ يقول تعالى : {إِلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلومِ} الذي لا يَعْلَمُه إِلا الله}، وهو يوم القيامة. **ويومُ القِيامة** (٣) : يومُ البَعْث؛ وفي التهذيب: القِيامة يوم البعث يَقوم فيه الخَلْق بين يدي الحيّ القيوم. وفي الحديث ذكر يوم القِيامة في غير موضع، قيل : أَصله مصدر قام الخَلق من قُبورهم قِيامة ، وقال ابن سيده : ويوم القِيامة :يوم الجمعة؛ ومنه قول كعب : أَتَظْلِم رجُلاً يوم القيامة ؟ ويقال : مَضَتْ قُوَيْمة مِن الليلِ ؛ أَي : ساعةٌ أَو قِطْعة، ولم يَجِدْه أَبو عبيد، وكذلك مضَى قُوَيْم من الليلِ، بغير هاء ؛ أَي وَقْت غيرُ محدود. **ويوم المَحْشَر** (٤) . والحَشْر : جمع الناس يوم القيامة .**ويَوْمُ مَرْن** (٥) ؛ قال ابن الأَعرابي : يَوْمُ مَرْن إِذا كان ذا كِسْوَة وخِلَع، ويوم مَرْن إِذا كان ذا فِرارٍ من العدوّ. ومَرَّان ، بالفتح: موضع على ليلتين من مكة .**ويَوْمٌ مُمْطِر وماطِر ومطِر** : ذُو مطَر ؛ (الأَخيرة على النسب). **ويوم مَطِير** : ماطِر . **ويوم هَجْهاج**(٦): كثير الريح شديد الصوت؛ يعني الصوت الذي يكون فيه عن الريح. ويومٌ هَلاَّب ، وعامٌ هَلاَّب :

---

(١) لسان العرب / باب الفاء .

(٢) لسان العرب / باب العين .

(٣) لسان العرب / باب القاف .

(٤) لسان العرب / باب الحاء .

(٥) لسان العرب / باب الميم .

(٦) لسان العرب / باب الهاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كثير المطر والريح. قال الأزهري في ترجمة حلب: يوم حَلاَّبٌ، **ويوم هَلاَّب ، ويوم هَمّامٌ، وصَفْوانُ، وملْحانُ، وشِيبانُ**؛ فأَمَّا الهَلاَّب : فالياسُ بَرْداً، وأما الحَلاَّبُ: ففيه ندىً، وأما الهَمّام: فالذي قد هَمَّ بالبَرْد. ويوم الهياج : يوم القتال . **ويومُ الوَقِيط** [1]): يومٌ كان في الإسلام بين بني تَميم وبَكر بن وائل. **ويَوْمُ الرَّزْم** ([2]) بفتح أوّله وإسكان ثانيه. يوم كان لهَمْدانَ على مُرَادِ قُبَيْل الإسلام، ويَومَا عُكَاظٍ ([3]) ، لأنه كانت بها وقعةٌ بعد وقعةٍ؛ قال دُريد بن الصِمَّة : (الطويل)

تَغَيَّبْتُ عن يَوْمَيْ عُكَاظ كِلَيْهِمَا

وإنْ يَكُ يومٌ ثالثٌ أَتَغَيَّبِ ، وأديمٌ عُكَاظِيٌّ : منسوبٌ إليها. **ويوم النشور** ([4]): نَشَر الميِّتُ يَنْشُرُ نُشُورًا ، أي عاش بعد الموت .

المبحث الثاني : الإعجاز العلمي في حديث القرآن الكريم عن نسبية الزمن :

النقطة الأولي : نصان قرآنيان مفسران للنصوص محل البحث :

النص الأول : قول الله ــ تعالى ــ : في سورة البقرة :

{ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .([5]) .

---

(١) لسان العرب / باب الواو .

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، البكري (عبدالله بن عبد العزيز ...الأندلسي ، أبو عبيد ، ت : ٤٨٧هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، طبعة : عالم الكتب ببيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ .(أربعة مجلدات) . وسيُشار إلى هذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : **معجم ما استعجم** ، انظر فيه : الراء والزاي .

(٣) الصحاح للجوهري ، باب الظاء .

(٤) لسان العرب / باب الراء .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٥٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذه الآية الكريمة ؛ وهي الآية التاسعة والخمسون بعد المائتين آية من آيات الله القادر سبحانه وتعالى ؛ فهذا الذي مرّ(١) على القرية (٢) الخاوية على

---

(١) اختلف العلماء في هذا الشخص ؛ فروي عن الجمهور أنه عزير ؛ روى ذلك : سليمان بن بُريدة وناجية بن كعب وقتادة وابن عباس والرّبيع وعكرمة والضحاك . وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عُبيْد بن عمير وعبد الله بن بكر بن مضر: هو إرْمِيَاء وكان نبياً. وقال ابن إسحاق: إرمياء هو الخضر، وحكاه النقاش عن وهب بن منبه. قال ابن عطية: وهذا كما تراه، إلا أن يكون اسماً وافق اسما؛ لأن الخضر معاصر لموسى، وهذا الذي مرّ على القرية هو بعده بزمان من سبط هارون فيما رواه وهب بن منبه.

وقال القرطبي : إن كان الخضر هو إرمياء فلا يبعد أن يكون هو؛ لأن الخضر لم يزل حياً من وقت موسى حتى الآن على الصحيح في ذلك، على ما يأتي بيانه في سورة «الكهف». وإن كان مات قبل هذه القصة فقول ابن عطية صحيح، والله أعلم. وحكى النحاس ومكيّ عن مجاهد أنه رجل من بني إسرائيل غير مسمًّى. قال النقّاش: ويقال هو غلام لوط عليه السلام. وحكى السّهيليّ عن القُتَبي هو شَعْيَا في أحد قوليه . انظر : تفسير القرطبي

(٢) «القرية» مأخوذة من القَرْي؛ وهي الجمع؛ وتطلق على الناس المجتمعين في البلد؛ وتطلق على البلد نفسها – حسب السياق – فمثلاً في قوله تعالى: {قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية} [العنكبوت: ٣١] المراد بـ «القرية» هنا المساكن؛ لأنه تعالى قال: {أهل هذه القرية} ؛ وأما في قوله تعالى: {فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة} فالمراد بـ «القرية» هنا أهلها؛ والدليل قوله تعالى: {أهلكناها} ، وقوله تعالى: {وهي ظالمة} : وهذا لا يوصف به البلد.

فتبين أن القرية يراد بها أحياناً البلد التي هي محل مجتمع الناس؛ ويراد بها القوم المجتمعون – على حسب السياق؛ وكما قال أولاد يعقوب لأبيهم: {واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها} [يوسف: ٨٢] : فالمراد بـ «القرية» هنا أهلها؛ والدليل قوله تعالى: {واسأل القرية} ؛ لأن السؤال لا يمكن أن يوجه إلى القرية التي هي البناء؛ وإذا كانت «القرية» تطلق على أهل القرية بنص القرآن فلا حاجة إلى أن نقول: هذا مجاز أصله : واسأل أهل القرية؛ لأنا رأينا في القرآن الكريم أن «القرية» يراد بها الساكنون.

وقيل القرية المذكورة هي بيت المقدس ؛ في قول وهب بن منبه وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم. قال: وكان مقبلاً من مصر وطعامه وشرابه المذكوران تِينٌ (أخضر) وعِنَب وَرِكْوَة من خمر. وقيل من عصير. وقيل: قُلَّةُ ماء هي شرابه. والذي أخلى بيت المقدس حينئذ بُخْتَنَصَّر وكان والياً على العراق لِلَهْرَاسِب ثم ليَسْتَاسب بن لَهْرَاسِب والد اسبنديار. وحكى النقاش أن قوماً قالوا: هي المُؤْتَفِكَةُ. وقال ابن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عروشـــها الخالـــية مـــن الناس ومن مظاهر الحياة : قد تساءل : { أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَـــا أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا } ؟ ، وإحياء القرية يكون بإحياء أهلها أو بعمارتها ، لكـــن الأولـــى أن يكون المعنى : أنّى يحيي الله موتاها ؟ ، فهو قد شك في قدرة الله تعالى علـــى الإحـــياء ؛ فضرب الله ــ سبحانه ــ المثل له في نفسه ، وإحياء أهل القرية ــ من حيـــث بيان آية الله أبلغ ، وهو ما يؤكد القرطبي عليه فيما ينقله عن ابن عطية بأنه " ليس يدخـــل شـــك في قدرة الله ــ تعالى ــ على إحياء قرية بجلب العمارة إليها ، وإنما يتصور الشـــك (مـــن جـــاهل) في الوجه الآخر " ([1]) ؛ فالآية لا تكون بـــ : " رجوع البلدان المدمـــرة إلى العمارة ، وهذه لم تزل تُشاهد ، تعمر قرى ومساكن وتخرب قرى ، وإنما الآيـــة العظـــيمة في إحيائه بعد موته وإحياء حماره ، وإبقاء طعامه وشرابه لم يتعفن ولم يتغير " ([2]) .

ثـــم كانـــت آية الله ــ القادر عز وجل ــ { فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ } ، والعام([3]) :

=عـــباس فـــي روايـــة أبي صالح: إن بختنصر غزا بني إسرائيل فَسَبى منهم أُناساً كثيرة فجاء بهم وفيهم عُزَيْـــر بن شَرْخِيَا وكان من علماء بني إسرائيل فجاء بهم إلى بابل، فخرج ذات يوم في حاجة له إلى دير هِـــرقل علـــى شاطىء الدّجلة، فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له، فربط الحمار تحت ظل الشجرة ثـــم طـــاف بالقـــرية فلم ير بها ساكناً وهي خاوية على عروشها فقال: أنى يحي هذه الله بعد موتها. وقيل: إنهـــا القرية التي خرج منها الأُلوف حذر الموت؛ قاله ابن زيد. وعن ابن زيد أيضاً أن القوم الذين خرجوا مـــن ديـــارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا، مرّ رجل عليهم وهم عظام (نخرة) تلوح فوقف ينظر فقال: أني يحي هذه الله بعد موتها . انظر : تفسير القرطبي ٣ / ٢٨٩ .

(١) تفسير القرطبي ، ٣ / ٢٨٩ .

(٢) تفسير السعدي ، سورة البقرة .

(٣) العـــام لفظـــة مشـــتقة من العوم؛ وهو السباحة ؛ لأن الشمس تسبح فيه على الفصول الأربعة؛ وهي الربـــيع؛ الصـــيف؛ الخريف؛ الشتاء؛ كل واحد من هذه الفصول له ثلاثة من البروج المذكورة في قوله : حمـــل فثور فجوزاء فسرطان فأسد سنبلة ميزان فعقرب قوس فجدي فكذا دلو وذي آخرها الحيتان هذه اثنا عشـــر بـــرجاً للفصول الأربعة؛ كل واحد من الفصول له ثلاثة؛ وقيل: إن كلمة { عام } غير مشتقة؛ فهي مـــثل كلمـــة «باب» و«ساج» و«سنة»؛ وما أشبه ذلك من الكلمات التي ليس لها اشتقاق؛ وأياً كان فالمعنى معـــروف . انظـــر : تفســـير القـــرآن الكـــريم ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، نسخة منشورة بشبكة المعلومـــات . وسيُشـــار إلـــى هـــذا المرجع عند وروده بعد ذلك هكذا : تفسير ابن عثيمين : انظر فيه : المجلد الأول ، تفسير سورة البقرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنة ؛ وسمي كذلك لأنه " عومة من الشمس في الفلك ، أما الإماتة فظاهرها أنها بإخراج الروح من الجسد " ، والتقدير : فأبقاه مئة عام ؛ قالوا لأن الموت لا يتأجل ، الموت موت، ولكن الذي يتأجل هو بقاؤه ميتا مئة عام " . { ثُمَّ بَعَثَهُ } " وكان المتوقع أن يقول : ثم أحياه ليقابل : أماته ، لكن البعث أبلغ ؛ لأن البعث فيه سرعة ؛ ولهذا نقول : انبعث الغبار بالريح ، وما أشبه ذلك من الكلمات الدالة على أن الشيء يأتي بسرعة واندفاع ؛ فهذا الرجل بعثه الله بكلمة واحدة ؛ قال ــ مثلا ــ كن حيا : فكان حيا . { قَالَ كَمْ لَبِثْتَ }، وهو خطاب(١) الله ــ تعالى ــ له بعد أن أحياه ، { قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } ؛ فـ : " أ و " هنا للشك ، " قال هذا على ما عنده وفي ظنه ، وعلى هذا لايكون كاذبا فيما أخبر به ، ..... ونظيره : قول النبي صلى الله عليه وسلم في قصة ذي اليدين : " ما قصرت الصلاة ولا نسيت، " (٢) وهذا المعنى هو الأرجح ، فهو أخبر عما ظنه ؛ لأن الله ــ سبحانه ــ أماته " غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب فظن هذا اليوم واحدا ، فقال : لبثت يوما ، ثم رأى بقية من الشمس فخشي أن يكون كاذبا ؛ فقال : أو بعض يوم : { قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ } ، ورأى من عمارة القرية وأشجارها ومبانيها ما دله على ذلك "(٣)، و"بل" هنا للإضراب الإبطالي (٤)، يعني:لم تلبث يوما أو بعض يوم وإنما لبثت مئة عام { فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٥)، والأهم ــ هنا ــ أنه قد " خرج من أهله وخلف امرأته حاملا ، وله خمسون سنة ، فأماته

---

(١) اختُلف في القائل له «كم لبثت»؛ فقيل: الله جل وعز ؛ ولم يقل له إن كنت صادقاً كما قال للملائكة على ما تقدّم. وقيل: سمع هاتفاً من السماء يقول له ذلك. وقيل؛ خاطبه جبريل. وقيل: نبيّ. وقيل: رجل مؤمن ممن شاهده من قومه عند موته وعمر إلى حين إحيائه فقال له: كم لبثت ؛ والأظهر أن القائل هو الله تعالى؛ لقوله {وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً} والله أعلم.
انظر : تفسير القرطبي ٣ / ٢٩٠ .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث رقم (١٦٣٩٠) .

(٣) تفسير القرطبي ٣ / ٢٩٠ .

(٤) تفسير ابن عثيمين ، سورة البقرة .

(٥) سورة البقرة ، من الآية (٢٥٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله مئة عام ، ثم بعثه ، فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة ، وله ولد من مئة سنة فكان ابـــنه أكبر منه بخمسين سنة "([1]) ، ومعنى ذلك أنه قد ظل في زمنه هو ؛ إذ كما ينقل ابـــن كثير " فبعثه الله وهو كذلك "([2])، و" **في إماتته هذه المدة ــ كما يقول ابن عطية ــ أعظم آية ، وأمره كله آية " وهذا دليل مهم على نظرية النسبية ؛ لأنه ــ وَفق نظرية النســبية ــ حيــن مــات كــان في حالة خاصة (شبه نورانية) فصار يومُه طويلا جدا بالنسبة للكائنات الأخرى التي على ظهر الأرض أو أكثر .**

هــذه لمحة من بيان تلكم الآية التي أراها الله ــ جلت قدرته ــ لهذا الذي مر على القــرية ؛ " نظــير مــا استنكر من إحياء الله ــ تعالى ــ للقرية التي مر بها بعد مماتها ؛ عــيانا من نفسه وطعامه وحماره ؛ فجعل ــ تعالى ذكره ــ ما أراه من إحيائه أهل القرية التــي مــر بهــا خاوية على عروشها " . ولقد أخبر الله ــ تعالى ــ " جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس ؛ فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موتــه وإحــياء الله إيــاه بعد مماته وعلى من بعث إليه منهم " **وكأن الله ــ سبحانه تجلت قدرتــه ــ يقــيم علينا ــ نحن البشر ــ الحجة مرة أخرى من مكتشفاتنا المعاصرة التي تؤكــد علــى عظمة الخالق ــ سبخانه ــ وإعجاز كتابه ، وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم .**

---

(١) رُوي عــن ابن عباس قال: لما أحيا الله عُزيراً ركب حمارَه فأتى مَحلّته فأنكر الناسَ وأنكروه، فوجد فــي منزلــه عجوزاً عمياء كانت أُمَة لهم، خرج عنهم عُزير وهي بنت عشرين سنة، فقال لها: أهذا منزل عُزيــر؟ فقالت نعمْ ثم بكت وقالت: فارقنا عُزير منذ كذا وكذا سنة قال: فأنا عُزير؛ قالت: إن عزيراً فقدناه مــنذ مــئة سنة. قال: فالله أماتني مئة سنة ثم بعثني. قالت: فعزير كان مستجاب الدعوة للمريض وصاحبِ البلاء فيُفــيق، فادع الله يرد عليّ بصري؛ فدعا الله ومسح على عينيها بيده فصحّت مكانها كأنها أُنْشطت مــن عِقَــال. قالت: أشهد أنك عُزيرْ ثم انطلقت إلى ملإ بني إسرائيل وفيهم ابنٌ لعزير شيخٌ ابن مئة وثمان وعشــرين ســنة، وبــنو بنــيه شيوخ، فقالت: يا قوم، هذا والله عُزيرْ فأقبل إليه ابنه مع الناس فقال ابنه: كانــت لأبــي شــامة ســوداء مثل الهلال بين كتفيه؛ فنظرها فإذا هو عُزير. وقيل: جاء وقد هلك كل من يعرف، فكان آيةً لمن كان حيّاً من قومه إذ كانوا موقنين بحاله سماعاً. انظر : تفسير القرطبي

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النص الثاني : قول الله ــ تعالى ــ : في سورة الكهف ([1]) :

{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً } ([2]) .

{ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً} ([3]) .

{ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً . قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ....} ([4]).

هــذه الآيــات الكريمة من سورة الكهف تسند القضية نفسها ، وتؤكد على النظرية ذاتهــا ؛ فقصــة أهــل الكهف قصة معروفة ؛ تناولتها كتب التفسير تفصيلا ، وهي قصة عجيبة كما يخبر ربنا ــ سبحانه ــ عنها { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً } ، وأصــحاب هذه القصة هم هؤلاء الفتية الذين لم يغترُّوا بزينة الشباب والأهــل والسلطان والأبهة ، وإنما هجروا هذه الملذات وتركوها مقبلين على الله ــ تعالى ــ فســاروا في سبيله ــ سبحانه ــ { إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَــةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً } ، وبعيد عما نهتم به ــ هنا ــ ما تناوله بعض العلماء عــن مكــان([5]) الكهف وزمان([6]) القصة وغير ذلك ، فالمهم أن هؤلاء الفتية قد دخلوا

---

(١) ســورة الكهــف سورة مكية كما هو مشهور بين العلماء ، ومشهور كذلك أنها نزلت جملة واحدة ، وثمــة خلاف بين العلماء في بعض آياته على أنها مدنية . والقصص هو الغالب في هذه السورة ، ومنها تلــك القصة التي نناقشها هنا ، وقد نزلت بعد الغاشية ونزلت بعدها النحل ، وتناولت موضوعات عدة في العقيدة والبعث والجزاء وغير ذلك . انظر : أهداف كل سورة ومقاصدها ، ص ٣٥١ ــ ٣٦٥ .

(٢) سورة الكهف ، الآيات من (٩ ــ ١٢) .

(٣) سورة الكهف ، الآية (١٩) .

(٤) سورة الكهف ، الآية (٢٥) ومن الآية (٢٦) الكهف .

(٥) قــيل بــبلاد الشام ، وقيل ببلاد الروم ، وقيل ببلاد الأندلس ، وقد قال ابن عباس لمعاوية حينما كان فــي غــزو ة بــبلاد الروم لما أراد رؤيتهم : قد منع الله مَن هو خير منك ، يقصد قول الله تعالى : { لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً } (١٨)الكهف .

(٦) قــيل فــي ذلك آراء متعددة ؛ فقيل : كان ذلك قبل عيسى عليه السلام ، وقيل : كان قبل موسى عليه السلام ، وقيل : بعد عيسى كذلك .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكهف هاربين بأنفسهم ؛ لأنهم عاشوا في زمان ملك كافر مشرك ظالم يحمل الناس على الكفر بالله مستعينا بقوته وقوة أعوانه ، فشرح الله – سبحانه – صدور هؤلاء الفتية ؛ وهم أبناء علية القوم وأشرافهم والتقوا على الحق فاجتمعوا على رفع الأمر إلى هذا الملك الظالم ، لكنه وعدهم وأغراهم ، ثم توعدهم وهددهم ، وأمهلهم مهلة يكون بعدها تنكيله بهم وتعذيبه لهم ، ففروا قبل انقضاء المدة هروبا بدينهم ، ووجدوا هذا الكهف بجبل في طريقهم ؛ فرأوا أن يناموا فيه بعض الوقت ؛ ليواصلوا مسيرهم بعد ذلك ، وهي نومة التي امتدت { فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً } ، ومعلوم أن السمع هو الوسيلة الرئيسة في تنبيه النائم المعزول عن الناس ، وهي إشارة بلاغية وعلمية مهمة { ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً } .

وهنا نجد التعبير كذلك بالبعث وهو ما وجدناه في آية سورة البقرة السابقة { ثُمَّ بَعَثْنَاهُ}؛ فالحال واحدة إذن ، والهيئة واحدة ، والبعث أيضا واحد ، وهي أمور أراد ربنا سبحانه أن يعرفها لنبيه ، وأن يقص – عز وجل – عليه قصة هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم ربنا إيمانا وهدى ، وربط على قلوبهم فثبتهم على الحق ضد ضلالات قومهم فحاولوا هدايتهم ولما استعصي الأمر عليهم فروا بدينهم ([1]) .

وكثيرة تلك الإشارات العلمية المعجزة التي تناولها العلماء في هذه القصة ؛ فلقد تعول العلماء مكان وجود هؤلاء الفتية " في نهارهم كله لا تصيبهم الشمي في طلوعها ولا غروبها الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض للشمس لولا أن الله يحجبها عنهم " [2] .

---

(١)يقول الله تعالى : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)الكهف وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً (١٤)الكهف هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (١٥)الكهف وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً } (١٦)الكهف .

(٢) – الكشاف للزمخشري ٣ / ٧٠٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل إن باب الكهف كانت من جهة الشمال فكنت الشمس تطلع على يمين الكهف وإذا غربت كانت على شماله فضوء الشمس لم يكن يصل إليها ألبتة لكن الهواء الطيب والنسيم العليل كان يصل . (١)(وهم في فجوة منه) أي متسع ، وقيل كان يصيبهم شيء قليل وقدر ضئيل من أشعتها بقدر ما تنتفع به أجسادهم : { وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُّرْشِداً }(٢) وتناول العلماء ــ كذلك ــ مسألة : كيف أن الواحد يحسبهم { أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ } ؛ فلقد كانوا مفتوحي الأعين حال رقدتهم ؛ حفظا لأبصارهم من العمى { وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ } ؛ حفظا لأجسادهم من التآكل .

ثم كان بعثهم بعد ذلك بإعادة الحياة إليهم ، وقلنا إن التعبير بالبعث أبلغ من التعبير بالإحياء ؛ لأنه أسرع { وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ } " كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم و أبصارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئا " ، { قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ } أي : كم رقدتم { قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار، واستيقاظهم كان في آخر نهار، ولهذا استدركوا فقالوا : {قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} أي : الله أعلم بأمركم، وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم، فالله أعلم " (٣). وقول الله ــ تعالى ــ { قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا } " مبنيٌّ على ظن القائل وكأنهم وقع عندهم اشتباه. في طول مدتهم، فلهذا {قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} . فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء، جملة وتفصيلاً. ولعل الله تعالى بعد ذلك أطلعهم على مدة لبثهم، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنهم تساءلوا، وتكلموا بمبلغ ما عندهم، وصار آخر أمرهم الاشتباه فلابد أن يكون قد أخبرهم بقينا، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنه لا يفعل ذلك عبثا " (٤).

---

(١) - تفسير الرازي ٢١ / ١٠٠ .
(٢) سورة الكهف ، الآية (١٧) .
(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٧٨ .
(٤) تفسير السعدي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكـن الفتـية قـد أنهـوا الحوار ، والتفتوا إلى ما هو أهم في حفظ حياتهم من طعام وشـراب رغـم بقائهم بغير ذلك طيلة هذه المدة { قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً }(١)، ثم تمضي القصة في جوانب أخرى حتى تصل إلى بيان المدة التي لبثها هـؤلاء الفتـية في كهفهم { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً }(٢): فهي ثلاثمائـة سنة بالحساب الشمسي أو ثلاثمائة سنة وتسع سنوات بالحساب القمري ؛ فمعلوم أن السـنة الشمسية تزيد على السنة القمرية بأحد عشر يوما ؛ فبين الله ــ سبحانه ــ ذلك بالحسابين ، وهو ــ تعالى ــ الأعلم بما لبثوا { قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا }(٣) .

إن الحالة التي كان عليها هؤلاء الفتية أيضا أشعرتهم أنهم لم يلبثوا إلا يوما أو بعض يـوم ؛ لأنهم بعثوا ــ كما ينقل الطبري ــ من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يـوم رقـدوا ، ولم يشيبوا على مر الأيام والليالي عليهم ، ولم يهرموا على كر الدهور والأزمـان " . وهـي هي الحالة التي كان عليها ذلك الذي مرّ على القرية الخاوية على عروشها (سورة البقرة) وهو ما يضع أساسا مهما ــ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان أو يزيد ــ لنظرية : نسبية الزمن ؛ كما سنوضح ذلك في النقطة القادمة .

النقطة الثانية : بيان وجه الإعجاز في الآيات الكريمة محل البحث في : نسبية الزمن :

لقـد اتضـح في النقطة السابقة ــ من خلال تناول القصتين السابقتين : قصة ذلك الـذي مر على القرية الخاوية على عروشها ، وقصة أصحاب الكهف : أن الحالة الخاصة للذي مر على القرية وأماته الله ــ سبحانه بقدرته ــ مئة عام ؛ هي حالة نسبية فيما يخص عنصر الزمن ؛ فاليوم ــ أو بعض اليوم ــ الذي ظنه هو هو مئة عام ، بقي خلالها ميتا ، ثم بعث على حالته كما كان لم يمر بالنسبة إليه هو إلا هذا اليوم ــ أو بعض اليوم ــ الذي ظنه هو ، وإن كان قد مر على غيره في الدنيا كلها من حوله مئة عام .

وهـي الحال نفسها بالنسبة لأصحاب الكهف الذين لبثوا رقودا في كهفهم ثلاثمائة سنة

---

(١) سورة الكهف ، من الآية (١٩) .

(٢) سورة الكهف ، الآية (٢٥) .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٢٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو ثلاثمائة سنة وتسع سنوات ، ثم بعثوا ــ كذلك ــ على حالتهم " لم يشيبوا على مر الأيام والليالي عليهم ، ولم يهرموا على كر الدهور والأزمان " ، ولم يمض بالنسبة إليهم إلا اليوم أو بعض اليوم أيضا وإن مضي على غيرهم هذه القرون كلها .

وهي هي الحال في الآيات الكريمة محل البحث :

ففي سورة الحج : نجد أن اليوم الذي عند ربنا (سواء أكان من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض أم كان يوم القيامة) هو كألف سنة مما يعده أهل الدنيا من أيامهم ؛ كما يرجح جمهور العلماء ؛ فاليوم " من الأيام التي عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم " كما يقول الطبري ، و " اليوم عند الله ألف سنة من عددكم كما يقول أبو حيان " و " يوم من أيام عذابهم ــ يعني : المشركين ــ في الآخرة ألف سنة " كما يقول الفراء ، وهو زمن نسبي يقبل أن يمتد لأكثر من ألف سنة ، لكن التعبير القرآني جاء متناسبا مع أفهام العرب ؛ الذين لايعرفون من الأوقات إلا البرهة والحين واللحظة وهو أقل ما عندهم وإلا الساعة واليوم والسنة وتلك هي أوقاتهم ، ولا يعرفون من الأعداد ما يزيد على الألف إلا بتكراره ، فجاء الخطاب القرآني مناسبا جدا لأفهامهم ومعارفهم ؛ ليقول لهم : إن اليوم الذي يعرفه صغيركم وكبيركم ولا يختلف واحد منكم في قيمته وتقديره وتحديد بدايته ونهايته (ربما يختلفون في تحديد اللحظة والبرهة والساعة) : هذا اليوم عند ربكم كألف سنة مما تعدون . ثم إن التعبير بـ : الكاف ــ هنا ــ ؛ التي هي أداة تشبيه يفيد أن هذا اليوم عند الله ــ جلت قدرته ــ لن يقف مقداره عند هذه الألف من السنوات ، وإنما قد يزيد عليها ، ومعلوم من لغة العرب : عدم التساوي ــ على سبيل التحديد ــ بين طرفي التشبيه ، وهذا شيء معروف معلوم تثبته اللغة العربية ؛ التي أثبت نصها المعجز هنا أن الأمر للتقريب فقط ؛ كي يكون الخطاب القرآني قريبا إلى أفهام العرب ومداركهم ، لكن الأمر أن الزمن نسبي ، وهو ما يؤصل لنسبية الزمن هنا .

وفي سورة السجدة : جاء التعبير بقوله تعالى { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَعُـدُّونَ }([1]) ، والأمر هنا هو الأمر هناك ، والحال هي الحال نفسها : اليوم عند الله ــ الـذي يدبر فيه الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ــ كان مقداره ــ بمعنى : أن الله قـدر هـذا في الأزل فكأن هذا أمر ثابت ومستقر لكنه غائب عنكم أن مقداره هذا ــ : الـف سـنة من عددكم أنتم . وهو سناد رابع بعد ءيات البقرة والكهف والحج ــ للنظرية نفسها .

أمـا السناد الخامس المُثبت للنظرية فلقد زادها وضوحا ؛ إذ إن هذا اليوم ــ **في سـورة المعارج** ــ الذي تعرج الملائكة والروح إليه { كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }([2]) وهو ما يؤكد على ما قلنا أن الأمر نسبي ، وأن مقدار هذا اليوم قابل للزيادة فوق(خمسين ألف سنة) في هذه السورة وفق قدرة القادر وإرادة المهيمن سبحانه وتعالى .

إن هذه السِّنادات الخمسة في الآيات التي أشرنا إليها ــ البقرة والكهف والحج والسـجدة والمعـارج ــ قـد مثلت أساسا صالحا للقول بنسبية الزمن منذ ما يزيد على أربعـة عشر قرنا من الزمان ؛ الأمر الذي لم يعرفه عالمنا إلا منذ مئة عام فقط : حين أعلن آينشتاين سنة (١٩٠٥ م) نظريته في نسبية الزمن .

المبحـث الثالث : بيان وجه الإعجاز العلمي في حديث الآيات الكريمة عن وحدات الزمن المتناهية الصغر :

لقـد مـثَّل القول بنظرية : نسبية الزمن ــ علميا ــ أساسا للعمل عند العلماء لكـي يصـلوا ــ مـرورا بتجارب عديدة واكتشافات كثيرة ــ إلى الاكتشاف المذهل في معـرفة تلك الوحدة الزمنية المتناهية الصغر : الفمتوثانية ؛ مما أسهم في نقلة علمية مهمة فـي العـالم المعاصـر ، وقدم خدمات جليلة في مناحي الحياة كافة ؛ كما هو واضح في مجـالات الإفـادة مـن هذا الكشف في الزراعة والصناعة والطب والكيمياء وغير ذلك .

---

(١) سورة السجدة ، من الآية (٥) .

(٢) سورة المعارج ، من الآية (٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه الوحدة الزمنية المتناهية الصغر : الفمتو ثانية هي التي مثّل التوصل إليها أساسا لهذا التقدم كله حين اتخذها العلماء مقياسا زمنيا جديدا .

علـــى أن الناظر في الآيات الكريمة الثلاث ــ في سور : الحج والسجدة والمعارج ــ ولنصـــوص العلمـــاء فـــي تفســـيراتها كما قدمنا يدرك ــ بجهد في التأمل ــ : أن هذه النصـــوص القرآنية قد مثلت إعجازا علميا فريدا حين أعطت بعدا علميا رائعا عن إمكانية معـــرفة وحـــدات زمنـــية متناهية الصغر ، وهو ما يقتضيه الفهم الصحيح للآيات وفق ما ذكـــره جمهور المفسرين ؛ رغم ذكر (اليوم) باعتباره ــ فقط ــ الوحدة الزمنية الملائمة للأفهام والمناسبة لمدارك العقول وقتها :

فالـــيوم المذكـــور فـــي سورة الحج : مقداره " ألف سنة مما يعده أهل الدنيا من أيـــامهم " كما يرجح الطبري وغيره من العلماء قديما وحديثا ، ويؤيده ما جاء في الحديث الصـــحيح مـــن أنـــه " : " يدخـــل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمســـمائة عـــام " ، وهـــذا هو مقدار هذا اليوم الذي هو أحد الأيام الستة التي خلق الله ــ تعالى ــ فيها الدنيا ، أو هو يوم من أيام الآخرة .

والـــيوم المذكـــور في سورة السجدة : مقداره ألف سنة من عدد أيام الدنيا أيضا ، وهـــو مقـــدار نزول الأمر من السماء إلى الأرض وصعوده من الأرض إلى السماء ، فما بيـــن الأرض والســـماء خمسمائة عام ، وهذا هو أظهر المعاني كما قال الطبري ، وأشار القرطبـــي إلـــى أن " هذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سني العالم " ، وقدم ابـــن كثير تفسيرا رائعا حين ذكر أن " النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده فـــي مســـيرة خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين " ؛ وكذلك قال السعدي من أن الملـــك " يعرج إليه ، ويصله في لحظة " ؛ فليس من شك في أن القادر عز وجل في قدرته أن يجعل الملك قاطعا لهذه المسافة في أقل من طرفة العين واللحظة ، وهو أمر يدفعنا إلى بـــيان وجه الإعجاز في الآية الكريمة ، مهما كان ما يحدث في مقدار هذا اليوم من نزول وعروج للملك ، أو كان بالملائكة ، أو كان هذا المقدار هو مقدار التدبير ذاته .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واليوم المذكور في سورة المعارج : " كان مقدار صعودهم ــ الملائكة والروح ــ ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة " ؛ ذلك أن المسافة التي تعرج فيها الملائكة والروح إلى الله تعرج في " يوم ؛ بما يسر لها من الأسباب ، وأعانها عليها من اللطافة والخفة وسرعة السير ، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين سنة"، أو أن يكون المعنى : مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق : خمسون ألف سنة ، وهو قابل للزيادة على ذلك ، ولكن الخطاب القرآني يراعي فهم الخلائق .

إن اليوم وحدة زمنية معروفة لجميع الناس في جميع العصور ، وهي الوحدة الزمنية الأقرب إلى الأفهام عند هؤلاء العرب ، ومعروف مقدارها من طلوع الشمس إلى حد غروبها ، فلا عجب ــ إذن ــ إن وجدنا التعبير القرآني يستخدم هذه الوحدة كثيرا لقربها من أفهام العرب واستعمالاتهم ؛ فلقد أطلقوا على كل واقعة من وقائعهم أنه يوم كذا ؛ من مثل : يوم الدرك ويوم دبسقة ويوم الكُلاب ...وغير ذلك ، فخصوا ذلك بالأيام وذكرها ، ولا عجب أيضا أن نجد في التعبيرات القرآنية شيئا من هذا ؛ من مثل : يوم التغابن ويوم الخروج ويوم الدين ويوم الفصل ويوم القيامة وغير ذلك مهما كان مقدار هذا اليوم . والسَّنَة كذلك معروفة ، وهي العام على التعبير الأشهر ، ولهذا وجدنا هذين التعبيرين : اليوم والسنة حسب قدرات العرب في معارفهم وأفهامهم .

فهذا اليوم ــ إذن ــ وحدة زمنية تم التعبير بها عن مواقف متعددة ، وهو مرة كألف سنة ، ومرة أخرى كان مقداره ألف سنة ، ومرة ثالثة كان مقداره خمسين ألف سنة ، ولكي تُفهم هذه الآيات القرآنية كلها فهما صحيحا : ينبغي تقدير وحدات زمنية مناسبة مثل وحدة : الفمتو ثانية ؛ بل وأقل منها بكثير ؛ ذلك أن التساوي في المدتين المتقابلتين في أية مسألة من المسائل السابقة لايوجد معه إعجاز ، وهو ما رجحه الطبري مثلا في آية سورة الحج ، ولكن الإعجاز يكون بتقدير هذه الوحدات الزمنية المتناهية الصغر في إحدى المدتين في مقابلة الأخرى حين يكون يوم القيامة ــ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مـــثلا ــ كألف سنة من أيامنا (سورة الحج) أو حين يعرج الملك أو التدبير أو الأمر أو غـــير ذلـــك ــ على اختلاف تفسيرات العلماء ــ في يوم مقداره ألف سنة بعدد أهل الدنيا وأيـــامهم (سورة السجدة) ؛ إذ مهما كان العروج لملك أو غيره فإن تساوي المطلق بيـــن اليوم وما يماثله من عدد أيام الدنيا ليس لافتا للنظر حتى يُخصص بالحديث من الله القـــادر المهيمن ــ عز وجل ــ في هذا السياق خاصة ، وإنما الذي يتناسب مع قدرته ــ سـبحانه وتعـــالى ــ أن تكون وحداتٌ زمنيةٌ متناهيةُ الصغرِ مقابـنة للمدة الأخرى وفقًا لمفهـــوم نظـــرية النســـبية في الزمن ، وهذا ما تثبته النظرياتُ العلميةُ الحديثةُ . وبهذا يستقيم فهمُ العروجِ المذكور في بُعْد علمي معجز وهو ما يقتضيه فهم الآية الكريمة ، ثم تضـــيف (آيـــة المعارج) بعدًا آخر حين يكون مقدار اليوم خمسين ألف سنة وقد نقل الطـــبري والقرطبـــي وغـــيرهما مـــن المفسرين أن من المعاني الراجحة في هذا اليوم ومقـــداره أنـــه " مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل سافلين " ، وقيل : يوم القيامة فـــي موقـــف الحكـــم فهو خمسون ألف سنة من سني الدنيا ، وقيل : إنما هو يوم على الكافريـــن بمقـــدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن " بمقدار ما بين الصلاتين " كما قال النبـــي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؛ وهي معانٍ يشترك معظمها في التأسيس و التأصيل لنظرية النسبية في الزمن ، وتحتم افتراضات لوجود وحدات زمنية متناهية الصغر (هي التـــي تقابل الفمتوثانية) حتى يستقيم المعنى ؛ إذ ليس الإعجاز (الذي يناسب بيانَ قدرةِ الله عز و جل في عدَم إخلافه لوعدِ إنزاله العذاب بالمشركين (آية الحج) أو في عروج الأمـــر (كلـــه) من الأرض إلى السماء بعد تدبيره إياه (آية السجدة) أو في عروج الملائكـــة والروح من أسفل الأرض إلى منتهى العرش العظيم (آية المعارج) ــ نقول : لـــيس الإعجـــاز الذي يناسب هذا كله في تساوي المدتين ، وإذا كانت النظريات العلمية قد اكتشفت حتى الآن الفمتوثانية التي تعادل ١٠-١٥ من الثانية ، فإن البعدَ الإعجازيَّ في الآيـــات بهـــذه المددِ الزمنيةِ الكبيرةِ (قال الحسن : يوم القيامة لا نفاد له) بالقياس إلى عملـــية العـــروج التـــي تـــتم في لحظة أو أقل بقدرة الخالق ــ عزوجل ــ يحتمل وجودَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحدات زمنية أقل من الفمتوثانية ، ولعل الأيام القابلة تحمل لنا تحقيق هذا الإعجاز العلمي الذي قرره القرآن في صياغة علمية معجزة ؛ تجمع بين الشمول والدقة ؛ قبل أن يعرفه الإنسان الذي وقف على بعضه فقط منذ سنوات قليلة ، وتحقق الغاية العظمى الأساسية للكتاب المعجز من هداية الناس ، فسبحان من أنزل القرآن معينًا لا ينضب ، ومعجزة خالدة تمدنا دائما بدليل جديد على قدرة الخالق – عز وجل – وصدق رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيما بلّغه .

والحمد لله أولًا وآخرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

أولا : النتائج :

١- بالقـرآن الكـريم أسـاس صالح للقول بنسبية الزمن منذ ما يزيد على أربعة عشـر قـرنا من الزمان ٠سورتا : البقرة (٢٥٩) والكهف (٩-١٢) ؛ الأمر الذى لم يعرفه عالمنا إلا منذ مئة عام فقط : حين أعلن أينشتاين سنة (١٩٠٥ م) نظريـته فـى نسبية الزمن وهى مسألة مهمة فى وجه من وجوه الإعجاز العلمى في القرآن الكريم .

٢- بالقـرآن الكـريم معـان فى ثلاث آيات : (سور : الحج (٤٧) والسجدة (٥) والمعـرج (٤) تشـترك متضـافرة في القول بوجود وحدات زمنية متناهية الصـغر ؛ هـى التى تقابل الفمتوثانية ، وهو الفهم الذى يتناسب مع الخطاب القرآنـي للعرب ويناسب فى الوقت ذاته الخطاب القرآني المعجز ، كما تقبل هـذه المعانـي وجود وحدات زمنية أقل من الفمتو ثانية إن ثم اكتشافها (مثل الأتو ثانية وغيرها) ، وهو أمر قرره القرآن الكريم فى صياغة علمية معجزة قـبل معرفة الإنسان له منذ سنوات قليلة فقط مما يمثل مسألة أخرى فى وجه مم وجوه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم كذلك .

ثانيا : الفهارس اللازمة للبحث :

أولا : فهرس المصادر والمراجع :

(١) في التفسيروعلوم القرآن :

الإتقـان فـي علـوم القـرآن : السيوطي (طبعة : دار الكتب العلمية ببيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ

أسـباب النزول : النيسابوري (علي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن) ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات (سبعة مجلدات)

أضـواء البـيان في إيضاح القرآن بالقرآن : الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي ، ت : ١٣٩٣هـ) ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات (سبعة مجلدات)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البحر المحيط في التفسير : أبو حيان (محمد بن يوسف ...الأندلسي الغرناطي ، ت : ٧٥٤ هـ) تحقيق زهير جعيد ، طبعة دار الفكر ببيروت ، لبنان ، د : ت .

تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (إسماعيل بن عمر ... الدمشقي ، أبو الفداء ، ت : ٧٧٤هـ) ، طبعة دار الفكر ببيروت ، لبنان ، سنة ١٤٠١هـ (أربعة أجزاء في أربعة مجلدات)

تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول ﷺوالصحابة والتابعين : ابن أبي حاتم الرازي (عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، أبو محمد.ت:٣٢٧هـ د : ن ، د : ت . (أربعة مجلدات) .

تفسير القرآن الكريم :الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات.

تفسير الجلالين : نسخة منشورة بشبكة المعلومات .

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب :الرازي (محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري ...الشافعي ، (ت : ٦٠٤ هـ) طبعة : دار الكتب العلمية ببيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ = ١٩٩٠ م . (ثلاثون جزءا في خمسة عشر مجلدا) .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :الشيخ عبدالرحمن السعدي ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات

جامع البيان عن تأويل القرآن :الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن خالد .. أبو جعفر ت : ٣١٠ هـ) ، طبعة : دار الفكر ببيروت ، لبنان ، لسنة ١٤٠٥هـ ، (ثلاثون جزءا)

الجامع لأحكام القرآن الكريم :القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح .. أبو عبدالله ... ت :٦٧١ هـ) ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، طبعة : دار الشعب بالقاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ؛ سنة ١٣٧٢ هـ ، (عشرون جزءا في عشرة مجلدات .

دقائق التفسير :ابن تيمية ، تحقيق : الأستاذ الدكتور / محمد الجليند ، طبعة مؤسسة علوم القرآن بدمشق سوريا ، الطبعة الثانية ، لسنة ١٤٠٤هـ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير :الشوكاني ، طبعة عالم الكتب بيروت ، لبنان ، د : ت

في ظلال القرآن : سيد قطب ، طبعة دار الشروق ، مصر ، الطبعة الثالثة والعشرون .

معـالم التـنزيل : البغوي (الحسين بن مسعود الفراء ...أبو محمد ، ت : ٥١٦ هـ) ، تحقـيق : خـالد العك ومروان سوار ، طبعة : دار المعرفة ببيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ . (أربعة مجلدات) .

(٢) : في السنة النبوية :

صحيح مسلم : طبعة دار الكتب العلمية ، سنة ١٩٩٢ م ، (مجلدان) .

مسند الإمام أحمد :طبعة دار إحياء التراث العربي ، د: ت ، (سبعة مجلدات) .

كتب اللغة والنحو :

التبيان في إعراب القرآن :العكبري ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات .

الصحاح :الجوهري ، نسخة منشورة على شبكة المعلومات

العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، نسخة منشورة على شبكة المعلومات ، .

القـاموس المحـيط :الفيروزابادي (محمد بن يعقوب ....، الشيرازي ، مجد الدين ، ت: ٨١٧هـ) نسـخة مصـورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ ، إصدار: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧ م. (أربعة مجلدات)

لسـان العـرب :ابـن منظور (محمد بي مكرم .... الإفريقي المصري ، ت ٧١١ هـ) طبعة : دار صادر ببيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، د : ت (خمسة عشر مجلدا)

مخـتار الصحاح : الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت : ٧٢١هـ) ، تحقيق: محمود خاطر ، طبعة : لبنان ناشرون ببيروت ، لبنان ، طبعة جديدة سنة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء البلاد والمواضع : البكري (عبدالله بن عبد العزيز ...الأندلسـي ، أبـو عبيد ، ت : ٤٨٧هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، طبعة : عالم الكتب ببيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ .(أربعة مجلدات)

معجـم مقاييس اللغة :ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين ، ت : ٣٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـ) تحقيق : عبد السلام هارون ، طبعة : دار الجيل ببيروت ، لبنان ، د :ت

المنجد : نسخة منشورة على شبكة المعلومات .

(٣) الكتب العامة والبحوث المنشورة :

أهـداف كـل سـورة ومقاصدها في القرآن : لأستاذنا الجليل المرحوم الدكتور / عبدالله شحاته ، طبعة مكتبة الأسرة بمصر سنة ٢٠٠٢ م .

دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب : الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي ، ت : ١٣٩٣هـ) ، نسخة منشورة بشبكة المعلومات .

مشـكلات فلسفية، لأستاذى الدكتور إبراهيم صقر ، طبعة دار الفكر العربي لسنة ١٩٩٧م ، (مجلد واحد)

(٤) بحوث المؤتمرات والدوريات:

لمحات إعجازية عن أبواب السماء وظلمة الفضاء

بحث لفضيلة العالم : الأستاذ الدكتور / زغلول النجار ؛ ضمن أبحاث الهيئة العالمية للإعجاز العلمي ــ مكة المكرمة .

الزمن بين العلم والقرآن

بحث لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد حسب النبي ؛ ضمن أبحاث الهيئة العالمية للإعجاز العلمي ــ مكة المكرمة .

مجلة التقدم العلمي :العدد الرابع والثلاثون ، أبريل / يونيو ٢٠٠١م .

(٥) البحوث الأجنبية المترجمة :

(Chemistry in britian)

بـترجمة د / سـعد الدين خرفان ، منشور بمجلة التقدم العلمي ، العدد الرابع والثلاثون ، أبريل / يونيو ٢٠٠١م .

pour la science – N ٣٢٦-Decembre (٢٠٠٤). ترجمة : د/ غازي حاتم

(٦) مواقع شبكة المعلومات :

www.Aiarab.co.uk

http.www.nobelprize.org

http.nobelprize.org \ Chemistry \ laureates \ ١٩٩٩\ Illpres

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧) **المقالات :**

- **الدين والعلم : دراسة في الفك العربي الحديث** ، لأستاذى الدكتور إبراهيم صقر ، مقاله مخطوطة من ثلاث صفحات .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner